الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم الاجتماع

# محاضرات في مقياس أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية علم اجتماع

**من إعـداد:**

**د. خـواني خالـد**

**السنة الجامعية: 2019 – 2020**

# فهـرس المحتويات


| العنــوان | | الصفحة |
|---|---|---|
| مقدمة: | | 02 |
| المحور الأول: الأنثروبولوجيا العامة | | |
| المحاضرة الأولى | مفاهيم الأنثروبولوجيا– طبيعتها وأهدافها | 09-04 |
| المحاضرة الثانية | أهمية الدراسات الأنثروبولوجية ومراحل تطوّرها | 14-10 |
| المحاضرة الثالثة | الأنثروبولوجيا علاقتها بالعلوم الأخرى وميادينها | 17-15 |
| المحور الثاني: الأنثروبولوجيا الاجتماعية | | |
| المحاضرة الرابعة | ماهية الأنثروبولوجيا الاجتماعية وبوادر النشأة | 21-19 |
| المحاضرة الخامسة | مراحل ظهور وتطوّر الأنثروبولوجيا الاجتماعية | 27-22 |
| المحاضرة السادسة | البناء الاجتماعي الموضوع الرئيسي | 31-28 |
| المحاضرة السابعة | الوحدات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية | 35-32 |
| المحاضرة الثامنة | النظم الاجتماعية وأنماط السلوك الاجتماعي للمجتمعات التقليدية | 48-36 |
| المحور الثالث: الأنثروبولوجيا الثقافية | | |
| المحاضرة التاسعة | الثقافة: مفاهيمها–مصطلحاتها–خصائصها | 59-51 |
| المحاضرة العاشرة | الأنثروبولوجيا الثقافية: تعريفها– أهدافها–نشأتها | 63-60 |
| المحاضرة الحادية عشر | فروع الأنثروبولوجيا الثقافية | 75-64 |
| المحور الرابع: النظريات الأنثروبولوجية الكبرى | | |
| المحاضرة الثانية عشر | النظرية التطوّرية | 84-77 |
| المحاضرة الثالثة عشر | النظرية الوظيفية | 89-85 |
| المحاضرة الرابعة عشر | النظرية الانتشارية | 92-90 |
| المحاضرة الخامسة عشر | النظرية البنيوية | 96-93 |
| المحور الخامس: المنهج الأنثروبولوجي وأدواته | | |
| المحاضرة السادسة عشر | المنهج الأنثروبولوجي وأدواته | 109-98 |
| المحاضرة السابعة عشر | الأنثروبولوجي أحمد أبو زيد ومنهجيته في الدراسات الميدانية | 114-110 |
| خاتمة | | 115 |
| قائمة المراجع: | | 119-116 |

**مقدمة:**

تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بدراسة النظم الاجتماعية والثقافية في إطارها البنائي العلاقاتي، الوظيفي والتفاعلي التي تسير عليها المجتمعات.

يعد هذا المقياس تخصص في شعبة الأنثروبولوجيا، وبعض محتوياته بحجم مقياس (مثلا مقياس العائلة والقرابة)، كما فتحت مسابقات دكتوراه فيه أحد مقاييس المسابقة ضمن المحتوى (المحور الرابع: النظريات الأنثروبولوجية الكبرى) يُسمح لطلبة علم الاجتماع المشاركة فيها، فبالتالي لأهميته وقصد الإحاطة واحترام برنامج هذا المقياس قمنا بتقسيم محاضراتنا إلى خمس محاور وكل محور يحتوي على عدة محاضرات وكل محاضرة قد تستغرق أكثر من حصة حسب المحتوى.

ففي المحور الأول الموسوم بالأنثروبولوجيا العامة تناولنا فيه مفاهيم الأنثروبولوجيا– طبيعتها وأهدافها ثم أهمية الدراسات الأنثروبولوجية ومراحل تطوّرها، ثم ختمنا هذا المحور بعلاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى وميادينها، أعدنا خلاله الطلبة إلى ما درسوه في الجذع المشترك علوم اجتماعية حتى يرتبطوا مباشرة بالأنثروبولوجيا ويستوعبوا موضوعاتها.

أما المحور الثاني فخصصناه للأنثروبولوجيا الاجتماعية تطرقنا خلاله لماهية الأنثروبولوجيا الاجتماعية ونشأتها، ثم عرّجنا لمراحل ظهورها وتطوّرها، ثم تناولنا البناء الاجتماعي، الوحدات الاجتماعية، النظم الاجتماعية وأنماط السلوك الاجتماعي الممثل في المركز والدور الاجتماعي.

خلال المحور الثالث الممثل في الأنثروبولوجيا الثقافية فصلنا في المفاهيم الثقافية والأنثروبولوجيا الثقافية من حيث أهدافها ونشأتها وفروعها البحثية.

أما المحور الرابع فخصصناه للنظريات الأنثروبولوجية الكبرى (التطوّرية، الوظيفية، الانتشارية، والبنيوية) محترمين لتسلسلها الزمني من حيث الظهور والمضمون والرواد واتجاهاتهم والانتقادات الموجهة لكل نظرية.

وفي الجزء العملي للبرنامج المخصص في المحور الخامس تناولنا المنهج الأنثروبولوجي وأدواته، ثم ارتأينا إضافة نموذج للأنثروبولوجي "أحمد أبو زيد" ومنهجيته في الدراسات الميدانية لعلها تمكن الطالب والباحث من اكتساب طرق ومنهجية لكيفية إعداد البحوث تحترم طبيعة وخصوصية المجتمع العربي.

# المحور الأول:
# الأنثروبولوجيا العامة

**المحاضرة الأولى: مفاهيم الأنثروبولوجيا – طبيعتها وأهدافها**

**المحاضرة الثانية: أهمية الدراسات الأنثروبولوجية ومراحل تطورها**

**المحاضرة الثالثة: الأنثروبولوجيا علاقتها بالعلوم الأخرى وميادينها**

## المحاضرة الأولى:

## مفاهيم الأنثروبولوجيا – طبيعتها وأهدافها

### I. مفاهيم الأنثروبولوجيا:

### 1. تعريف لغوي للأنثروبولوجيا:

إنّ لفظة أنثروبولوجيا Anthropology، هي كلمة إنكليزية مشتقّة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : أنثروبوس Anthropos، ومعناه " الإنسان " و لوجوس Logos، ومعناه "علم". وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا في معناها اللغوي " علم الإنسان " أو علم دراسة الإنسان، أي العلم الذي يدرس الإنسان.[1]

### 2. تعريفات اصطلاحية:

تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.[2]

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضاً، بأنّها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميّز عنها جميعاً .[3]

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً "[4] أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل

---

1 Nicholson, C .Anthropology and Education , London**, 1968, P.1**.

2 أحمد أبو هلال، مقدّمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمّان ، 1974، ص 9.

3 علي الجباوي، الأنثروبولوجيا – علم الإناسة، جامعة دمشق ، 1997، ص 9.

4 شاكر سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت ، 1981، ص 56.

عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين .

ونتيجة لتنوع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، تبنى الأنثروبولوجيون التعريف اللغوي لعلمهم؛ ولذلك يحاولون دراسة الإنسان وكل أعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان. ولهذا فإن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولاً على الإطلاق. وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها، من ناحية، على الإنسان العضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان العضو في المجتمع، من ناحية أخرى. ثم إن الأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة أي مجموعة من الناس أو أي حقبة تاريخية. بل تهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بدرجة اهتمامها نفسها بالأشكال المعاصرة؛ إذ يدرس الأنثروبولوجي كلاً من التطورات البنائية للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، فضلاً عن الاهتمام بالدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

كما تحاول الأنثروبولوجيا كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية، التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى؛ وكذلك تلك المعايير التي تصلح للتمييز بين الأنواع العديدة داخل الأسرة البشرية نفسها. وتركز اهتمامها في الدراسة المقارنة للحضارات على أوجه الاختلاف والتشابه بين الثقافات، التي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية العديدة التي تعيش على سطح كوكب الأرض، وتحاول أن تحدد وتعرف القوانين أو المبادئ التي تحكم تكون المجتمعات البشرية وثقافاتها وتطورها.

وعلى هذا فإن مصطلح "الأنثروبولوجيا" مصطلح شامل وواسع؛ إذ يشمل دراسة الموضوعات المختلفة، كالتطور البيولوجي والحضاري للإنسان، والعلاقات البيولوجية بين المجتمعات المعاصرة، والمبادئ التي تحكم علاقات الشعوب بعضها بعض. بيد أن

الموضوعات البيولوجية والاجتماعية هي موضوعات متداخلة ومتحدة لتركيزها المشترك على دراسة الإنسان؛ لكنها في الوقت نفسه موضوعات منفصلة ومستقلة بعضها عن البعض الآخر، بسبب تخصص علمائها، إما في الموضوعات الإنسانية أو الطبيعية.

## II. طبيعة الأنثروبولوجيا:

إنّ الشعوب الناطقة باللغة الإنكليزية جميعها، تطلق على علم الأنثروبولوجيا : " علم الإنسان وأعماله " بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنكليزية، على " دراسة الخصائص الجسمية للإنسان". ويصل هذا الاختلاف إلى طبيعة علم الأنثروبولوجيا .. فبينما يعني في أوروبا، الأنثروبولوجيا الفيزيقية، وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين، فإنّ الأمريكيين يستخدمون مصطلح (الإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا) لوصف (الإثنوجرافيا الثقافية) والتي يطلق عليها البريطانيون (الأنثروبولوجيا الاجتماعية) .

ففي إنكلترا مثلاً، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية. أمّا في أمريكا، فيرى العلماء أنّ الأنثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أنّ علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي " العضوية " .[1]

فعلم الأنثروبولوجيا يركّز اهتمامه على كائن واحد، هو الإنسان، ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثّر فيه .. في حين تركّز العلوم الأخرى اهتمامها على أنواع محدّدة من الظاهرات أنّى وجدت في الطبيعة .وكان علم الأنثروبولوجيا، وما زال، يحاول فهم كلّ ما يمكن فهمه أو معرفته عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين، وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة .

ومع أنّ علماء الأنثروبولوجيا، استطاعوا استخدام بعض الأساليب التي طوّرتها العلوم الاجتماعية، فإنّهم قلّما اضطروا إلى انتظار تطوّر مثل هذه الأساليب .. والواقع أنّ إسهامهم

[1] كلايد كلاكهون، الإنسان في المرآة، ترجمة : شاكر سليم، بغداد ، 1964، ص 209 .

في تطوّر العلوم الاجتماعية، لا يقلّ شأناً عن إسهام هذه العلوم في تطوّر الأنثروبولوجيا. ولذلك، ينقسم علم الأنثروبولوجيا إلى قسمين أساسيين كبيرين : يبحث الأول في الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الطبيعية، في حين يبحث الثاني في أعمال الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الثقافية.[1]

واستناداً إلى هذه المنطلقات، فقد حدّدت الباحثة الأمريكية "مارغريت ميد" طبيعة علم الأنثروبولوجيا وأبعاده، بقولها : " إنّنا نصنّف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثقافية) كأنساق مترابطة ومتغيّرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة. كما نهتمّ أيضاً بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. وبصفة عامة، نسعى – نحن الأنثروبولوجيين – لتفسير نتائج دراساتنا والربط فيما بينها في إطار نظريات التطوّر، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسيّة المشتركة بين البشر .."[2]

وتأسيساً على ما تقدّم، فإنّ الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحيّة الأخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى.

وفي الوقت ذاته، يدرس السلوك الإنساني ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام. فلا تهتمّ الأنثروبولوجيا بالإنسان الفرد، كما تفعل الفيزيولوجيا أو علم النفس، وإنّما تهتمّ بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس، وتدرس الناس في أحداثهم وأفعالهم الحياتية .

### III. أهداف الدراسات الأنثروبولوجية:

تحقّق دراسة الأنثروبولوجيا مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية :

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة

---

[1] رالف لينتون، الأنثوبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت . 1967، ص 15-16).

[2] Margare t Mead, , Changing Styles of Anthropological Work , Annual Review of Anthropology , Palo Alto. 1973, p.280.

الباحث الفئة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليوميّة.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان :

(بدائي– زراعي– صناعي – معرفي – تكنولوجي، معلوماتي).

- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية .. وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة .

- استنتاج المؤشّرات والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتمّم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة. [1]

ويبدو أنّ التباين العرقي بين بني البشر، هو الخاصة البيولوجية التي تستأثر باهتمام العالِم الحديث، أكثر من سائر الخواص البيولوجية الأخرى عند الإنسان. ويبذل المصنّفون العرقيون محاولات دائبة للتوصّل إلى تصنيف عرقي مثالي. فكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية بمشكلة العرق، أن اكتسب مفهوم النوع (العرق) رسوخاً أعاق التفكير بالكائن البشري ذاته. فالأصناف العرقية البشرية ظلّت، وإلى عهد قريب، تعتبر كيانات ثابتة نسبياً، وقادرة على الصمود أمام تأثيرات البيئة أو قوى التغيّر الفطرية.

**استنتاج عام:** وصفوة القول إن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً أو حضارياً؛ فتدرس هذه العلوم الأنثروبولوجية . بكافة مجالاتها وميادينها الخاصة . أشكال الثقافة وأبنية المجتمعات، مع التركيز على دراسة أشكال المجتمعات الأولية ومعالجة ما يُسمى بأنماط الثقافة البدائية.

[1] رالف لينتون، دراسة الإنسان، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1964، ص15.

والمجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تضطلع بدراسته الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية.

ووفقاً لذلك فإن الأنثروبولوجيا تهتم بالبحث عن المبادئ، التي تحكم تطور الإنسان فيزيقياً وثقافياً، ولماذا تغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟ ولماذا توجد أنماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة، على الرغم من أصلها المشترك جميعاً؟ وما طبيعة الثقافة؟ وكيف تتغير الثقافات؟ وما العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟ وكيف يستجيب الأفراد للمثل العليا والأهداف التي تحددها لهم الثقافات؟ وما العلاقة بين الثقافة والشخصية؟. فالعالم اليوم بما يضمه من بقايا نادرة متفرقة للماضي البعيد، هو العمل المتاح للبحث الأنثروبولوجي.

## المحاضرة الثانية:

## أهمية الدراسات الأنثروبولوجية ومراحل تطورها

**تمهيد:**

الأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسيّة واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية، وما إليها .. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنّوعة التي تشمل : التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.[1] ومما سبق تظهر مدى أهمية الدراسات الأنثروبولوجية في فهم الطبيعة البشرية، وككل علم فقد مرّت الدراسات الأنثروبولوجية بمراحل تطورية تفرضها التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتي غيرت وجهة الدراسات بمضامينها والتحولات التي شهدتها المجتمعات.

### I. أهمية الدراسات الأنثروبولوجية:

إنّ اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلّها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقاً أساسياً في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها. ولكن على الرغم من التوسّع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، ما يؤّكد ولا شك، تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولا سيّما علم الاجتماع.[2]

---

[1] أحمد أبو زيد، الطريق إلى المعرفة، الكتاب العربي 46، منشورات مجلة العربي، الكويت، 2001، ص 7.

[2] حسين فهيم، قصّة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة: 98، الكويت، 1986، ص 35.

ومن هنا كانت أهميّة الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيداً عن التعصّب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوّره الثقافي، فإنّ أهمّ ما أثبته هو، أنّ الشعوب البشرية بأجناسها المتعدّدة، تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيّما في النواحي العضوية والحيوية .

## II. مراحل تطور الدراسات الأنثروبولوجية:

مرّت الدراسات الأنثروبولوجية بخمس مراحل وهي كالتالي:

**1. مرحلة الدراسات الوصفية للرحالة:** اعتمدت على الوصف والتحليل المستخلص من الحكايات الشعبية والأساطير بهدف استنباط نمط الانجازات الحضارية خلال مراحل التطور التاريخي للإنسان.

وقد بدأت هذه المرحلة منذ عصر الاكتشافات الكبرى خلال القرن 15 الميلادي، حيث تراكمت كمية من المعلومات الأنثروبولوجية التي تجمعت على يد الرحالة والمبشرين والجنود، حيث كتب المؤرخون عن خبراتهم الشخصية والقصص والأساطير التي صادفوها أو سمعوها خلال رحلاتهم.وكانت مصادر المعلومات مبنية على التحليلات الصورية وما تناقلته الأفكار والألسن، ولهذا تعرضت كثير من هذه المعلومات للتشويه وعدم الدقة. ذلك أن معظم الرحالة كانوا ينظرون إلى الشعوب الأجنبية من خلال ميولهم الثقافي المتعصب.[1]

انتشر مصطلح أنثروبولوجيا وأخذ نظرة أكثر علمية وجدية وأول من استخدمه العالم الانجليزي "هادون" ليعود به إلى الحضارة الإغريقية فقد رأى أن الفيلسوف "أرسطو" قد استخدم هذا الاصطلاح للإشارة إلى "الشخص الذي يتحدث عن نفسه". كما استخدمه المفكر "هانت"

[1] محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، ط1، سلسلة علم الاجتماع المعاصر،1980، ص 41-42.

في كتابه الذي نشره سنة 1501 والذي يتضمن دراسة خصائص جسم الإنسان التشريحية ثم ظهر المصطلح سنة 1655 في كتاب يبحث في الطبيعة البشرية بشقيها النفسي والتشريحي ثم انتشر هذا المصطلح متجاوزا هذا التفسير إلى الأصول الاجتماعية والثقافية (الحضارية) والبيولوجية المكونة لسلوك الإنسان وعاداته وتقاليده.[1]

تجسدت بدراسات "مونتسيكيو" الفيلسوف الفرنسي في كتابه "روح القوانين" في القرن 18 الذي ميّز به بين البناء الاجتماعي ونظام القيم ودعا للتوجه نحو الأصول التاريخية للأنساق والبنى الاجتماعية أي دراسة المجتمعات البدائية.

2. **مرحلة الدراسات الجيولوجية:** بدأت خلال النصف الأول من القرن 19 من خلال البحث عن الآثار من بقايا عظمية أو أدوات كان يستخدمها الإنسان في حياته اليومية مثلا سنة 1865 ثم اكتشاف هيكل إنسان النياندرتال (نسبة للقرية التي عثر عليه فيها) في ألمانيا كدليل على وجود الانسان القديم فيها. صنفت طبيعة المرحلة على ضوء الدراسات الجيولوجية وعلم الحفريات القديمة (حسب العظام البشرية والأدوات المستخدمة الذي عثر عليها).[2]

3. **مرحلة دراسة الشعوب البدائية:** الغرض منها استخلاص أساليب تطور تلك الشعوب من خلال استخلاص حياة الشعوب ما قبل التاريخ روادها أنصار المدرسة التطورية أمثال باخ أوفن، تايلور، لويس مورغان فترة (1861 – 1877). استنتجوا من خلال دراساتهم أن مراحل التقدم البشري مرّت حسب التسلسل التالي: الحيوانية ـ البدائية ـ البربرية ـ التمدن. وهذا كان أسلوب مورغان وأنجلز في دراساتهم لتطور العائلة ونظام الزواج وروابط القرابة ونسب الأبناء الأموسي (نسبة للأم) والأبوسي (نسبة للأب)، وملكية القبيلة للأبناء وظهور العشيرة التي ارتبط بنظام الزواج وملكية الثروة في نهايات المرحلة البربرية من عصر المشاعية

[1] عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، مصر، 1987.

[2] محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 43.

البدائية.[1] وكيف أنّ شخصية الفرد تنصهر في شخصية الجماعة التي تمثل كل شيء بالنسبة له وتتشابه الأدوار بالأسرة وتعتمد على الجنس (ذكر وأنثى) والعمر (أطفال, شباب, كهول, شيوخ) والمركز في النظام العائلي (أب, أم, عم, خال, ابن, بنت) وتقوم عمليات الضبط الاجتماعي على أسس معيارية متفق عليها وكان الأنثروبولوجيون يفترضون إنّ مراحل تطور المجتمعات الإنسانية واحدة وبالتالي في حالة تعذر دراسة الأصول التاريخية لمجتمع ما فإنّه ممكن دراسة مجتمعات أخرى في مرحلة تطور أدنى وصولاً إلى جذور المجتمعات المعاصرة, لكن هذا الافتراض النظري ثبت عدم دقته مؤخراً لظهور دراسات أثبتت أنّ انساق تطور المجتمعات لا يتم بشكل واحد.

4. **مرحلة الحملات الاستعمارية:** لا يتحرج المستعمرون أبداً من اعترافهم بأنّ دراساتهم الأنثروبولوجية للشعوب هو لتأمين قاعدة للإرشادات السياسية والسيطرة الإدارية لهم على تلك الشعوب, فهم يرون ذلك وضعاً شرعياً وضرورياً وإنسانياً يسوغه تفوق المجتمع الغربي في مجال العلوم الاجتماعية, والحجة هي نقل هذه الشعوب إلى مرحلة المدنية والتقدم, ولذلك فإنّ الدراسات الأنثروبولوجية المعمقة لتلك الشعوب لمعرفة تاريخها وعاداتها وحاجاتها ونقاط ضعفها كانت ميداناً خصباً لأفكار علماء الأنثروبولوجيا وانطلاقاً من ذلك اتجهت الدراسات الأنثروبولوجية في القرن التاسع عشر نحو دراسة النظم والبنى الاجتماعية من منظور تطوري في ماضيها لمعرفة المراحل التي مرت بها تلك النظم مفترضين أن كل مرحلة تاريخية استتبعت في أشكال تطورها اتجاهات متباينة ترتبط بفترات الماضي من جهة وبالواقع الراهن من جهة أخرى، والفكرة حول ذلك أنّ النظام الاجتماعي هو نظام إنساني يمكن أن ينشأ في مكان وينتشر في مكان آخر حيث يتفاعل مع معطيات المجتمع وبالتالي يولد نسقاً جديداً من البنى الاجتماعية يتميّز عما كانت عليه في مكان ولادتها الأولى، وهذا يتطلب من علماء الأنثروبولوجيا التمييز بين ثلاثة مفاهيم في الأنثروبولوجيا مفهوم نشأة النظام ومفهوم تطور

[1] بدر الدين السباعي، مشكلة المرأة، دار الجماهير، دمشق، 1985، ص 65.

النظام ومفهوم انتشار النظام، وهذا يعني أنّ البحوث الأنثروبولوجية يجب أن توجد قاعدة اقتصادية واجتماعية للاستعمار الجديد في جغرافية وأمم البلدان التي ستستعمرها وهذا ما طغى على البحوث الأنثروبولوجية في القرن العشرين. ويتبلور تبرير الأنثروبولوجيا للاستعمار عند "ليبوك" بتأكيد أهمية دراسة الحياة البدائية للإمبراطورية البريطانية، والتي يشكل أبناءها برأيه أعلى درجات المدنية، الأمر الذي يقود إلى الاستنتاج أن البحوث الأنثروبولوجية تتركز حول الدراسة المعمقة لتاريخ الشعوب البدائية لمعرفة عاداتها وحاجاتها ونقاط ضعفها، وليتوفر لديهم من خلال ذلك قاعدة للإرشادات السياسية والسيطرة الإدارية.[1]

5. **مرحلة الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة:** تعتبر هذه المرحلة أهم المراحل التي تمر بها الأنثروبولوجيا أثناء نشوئها وتطورها، فقد انطلقت الدراسات في النصف الثاني من القرن العشرين نحو دراسة النظم الاجتماعية كما هي في الوقت الراهن دون البحث بأصولها التطورية أو انتشارها الحضاري فاستهدفت تحديد خصائص ووظائف النظام الاجتماعي وأسلوب تفاعله وطريقة توائمه مع الأنظمة الاجتماعية الأخرى مما يؤدي إلى ديمومته واستمراره، فاتخذت البحوث الأنثروبولوجية المعاصرة طابعاً مضافاً لتوجهها السابق وهو دراسة المجتمعات المتمدنة كالأحياء السكنية بالمدن الكبيرة أو المجتمعات المحلية في القرى وبذلت جهود من قبل علماء الأنثروبولوجيا في الدول النامية لفهم آلية عمل المتغيرات الاجتماعية في المجتمعات المحلية القروية وأسلوب انتقالها من مراحل قطف الثمار والزراعة والصيد إلى أسلوب حياة المصانع والمزارع الجماعية والسدود ووسائل الري الحديثة، فحققت الأنثروبولوجيا خطوة للأمام نحو وجهة تنموية لدراسة مسائل التكيف الحضاري والمشكلات التي ترتبط بقضايا التنمية والتحول المجتمعي.[2]

---

[1] عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، 1975، ص 34.

[2] محمد صفوت الأخرس، الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001، ص 36-37.

## المحاضرة الثالثة:

## الأنثروبولوجيا علاقتها بالعلوم الأخرى وميادينها

على الرغم من أن الأنثروبولوجيا تعتبر عادة علما اجتماعيا تربطه علاقة أولية مع العلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا والاقتصاد والسياسة فإنه مع ذلك ليس منعزلا بأي حال من الأحوال عن العلوم البيولوجية والدراسات الأدبية والفنية هذه العلاقة أفرزت ميادين أنثروبولوجية تختص كل منها في مجال بحثي معيّن.

### 1. علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:

فالأنثروبولوجيا لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه من تطور إلا بعد أن حققت تلك العلوم درجة معينة من النضج والتقدم. فالأركيولوجي لكي يحدد العمر النسبي للثقافات المختلفة لابد له أن يستخدم مناهج دراسة الطبقات الجيولوجية دراسة علمية تمكنه من التعرف على العصر الجيولوجي الذي تنتمي إليه الحفريات كعظام الحيوانات أو بقايا المواد الثقافية الأخرى. كما ترتبط الأنثروبولوجيا البيولوجية ارتباطا وثيقا بعلم التشريح وعلم الأجنة وعلم الوراثة وغيرها من ميادين الدراسة الطبيعية.

كذلك لا يتمكن الأنثروبولوجي من فهم نظام التقويم الزمني عند الشعوب البدائية إلا من خلال الانتفاع ببعض المعلومات التي يقدها علم الفلك. كذلك تستخدم الأنثروبولوجيا الفيزياء والكيمياء على نطاق واسع في دراسة المصنوعات الخزفية التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ لتحديد تقنيات صناعتها وتحديد المواد الأصلية الداخلة في صنعها.

ويستخدم الأنثروبولوجي معلومات كل من عالم النبات والحيوان للوقوف على مدى انتفاع الشعوب البدائية بإمكانات وموارد البيئات التي يعيشون فيها أو لإعادة رسم صورة البيئة التي تمت فيها ثقافة إنسان ما قبل التاريخ.

هذا ونجد فروع الأنثروبولوجيا تتداخل وتتبادل مع علوم أخرى، فهي كما تستعين بتقنيات ونتائج هذه العلوم، تقدم لها في المقابل معطيات أساسية في تطوير مناهجها ونظرياتها.

فالأنثروبولوجيا تشترك وعلم النفس في دراسة سلوك الإنسان، إلا أن علماء النفس ظلوا لفترة طويلة من تاريخهم يقصرون اهتمامهم على مشكلات السلوك الفردي في المقام الأول، على حين كان الأنثروبولوجي يميل إلى وضع تصميمات جماعية على أسس ثقافية، وبالتالي لم تتوطد العلاقة بين العلمين إلا بعد أن وجه علماء الأنثروبولوجيا اهتماماتهم إلى موضوع العلاقة بين الفرد والثقافة.

أما عن علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع فيحددها التشابه بين المشكلات الأساسية في كل من العلمين، فمفهوم الثقافة أصبح يستخدم على نطاق واسع عند علماء الاجتماع، وفي المقابل تعد أحد أهم مباحث الأنثروبولوجيا.

**2. ميادين الأنثروبولوجيا:**

تتضمن الفروع الرئيسية لعلم الإنسان ما يلي: علم الإنسان الطبيعي، وعلم الآثار، وعلم الإنسان اللغوي وعلم الإنسان الثقافي وعلم الإنسان الاجتماعي .وهي فروع كثيراً ما تتداخل وتتشابك. فمثلاً، يَدْرس علماء الآثار وعلماء الأنثروبولوجيا الثقافية الكثير من الملامح الثقافية ذاتها. وبينما يركز علماء الآثار على دراسة الحضارات السابقة، فإن علماء علم الإنسان الثقافي ينشغلون أساساً بالحضارات المعاصرة. إضافة إلى خاصية أخرى، هي أن علم الإنسان التطبيقي يستلزم التطبيق العملي للمحاولات الأخرى.ومن أهم الميادين الرئيسية لعلم الإنسان:

- علم الإنسان الاجتماعي(الأنثروبولوجيا الاجتماعية) يدرس البناء الاجتماعي، العائلة والقرابة، النظم والعلاقات الاجتماعية في داخل الجماعات الإنسانية.
- علم الإنسان الطبيعي (الأنثروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجية) ويسمى أيضًا علم الإنسان الإحيائي أو الحيوي، وهو دراسة الخصائص الحيوية للكائنات البشرية .
- علم الإنسان الثقافي (الأنثروبولوجيا الثقافية) يتناول أصول، وتطور، ووظائف الثقافات الإنسانية من خلال توظيف علم الآثار في دراسة رواسب وبقايا الثقافات الماضية. هذا الميدان المتشعب من أقسامه: علم الإنسان الوصفي (الإثنوغرافيا) الذي يعتمد الوصف

العلمي لمختلف الجماعات الاجتماعية والثقافية.، وعلم الإنسان التحليلي والمقارن (الإثنولوجيا) الذي يقوم بتحليل والمقارنة بين الثقافات أو الدراسات الإثنية، كما ظهر قسم علم الإنسان اللغوي (الأنثروبولوجيا اللغوية) الذي يدرس أساليب استخدام اللغة وطرقها عند الشعوب ذات الثقافات المختلفة.في العملية التواصلية

- علم الإنسان البيئي يهتم بكيفية توافق الناس مع بيئتهم والكيفية التي تؤثر بها البيئة في الثقافة .
- علم الإنسان الاقتصادي (الأنثروبولوجيا الاقتصادية) الذي يركز على الطرق التي تلجأ إليها الشعوب مختلفة الثقافات لإنتاج وتوزيع السلع .
- علم الإنسان السياسي(الأنثروبولوجيا السياسية) يهتم بطرق اتخاذ القرارات وحل الاختلافات داخل نسق سياسي معين .
- علم الإنسان النفسي (الأنثروبولوجيا النفسية) الذي يدرس الكيفية التي تتدخل بها الثقافات المختلفة في تشكيل الشخصيات الفردية، أو تدرس العلاقة بين الثقافة الموضوع الرئيسي في الأنثروبولوجيا والشخصية الموضوع الرئيسي في علم النفس.

# المحور الثاني:
# الأنثروبولوجيا الاجتماعية

**المحاضرة الرابعة: ماهية الأنثروبولوجيا الاجتماعية وبوادر النشأة**

**المحاضرة الخامسة: مراحل ظهور وتطوّر الأنثروبولوجيا الاجتماعية**

**المحاضرة السادسة: البناء الاجتماعي الموضوع الرئيسي**

**المحاضرة السابعة: الوحدات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية**

**المحاضرة الثامنة: النظم الاجتماعية و أنماط السلوك الاجتماعي للمجتمعات التقليدية**

## المحاضرة الرابعة:
## ماهية الأنثروبولوجيا الاجتماعية وبوادر النشأة

### I. ماهية الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تعتبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية أحد ميادين الأنثروبولوجيا، ومن اهتماماتها الجوهرية دراسة الجانب الاجتماعي لعلم الإنسان، فتقوم بالوصف والتحليل للمجتمع الإنساني القديم والمتطوّر من حيث البناء الاجتماعي وخصائصه، والنسق الاجتماعي ومكوّناته، وعادات وتقاليد المجتمع (كالعادات المرتبطة بالزواج والولادة والختان والوفاة ...) والأنظمة الاجتماعية مثل: النظام العائلي، القرابة، نظم العيش، والنظام التربوي وغيرهم والأمثال الشعبية وموضوعات الفلكلور الشعبي والمعتقدات والممارسات (المعارف) الشعبية مثل: الطب الشعبي، والأعياد الشعبية والأولياء والنذور، ودراسة المجتمعات المحلية الصغيرة...إلخ.

تدرس الأنثروبولوجيا الاجتماعية بشكل عام أصول المجتمعات الإنسانية وتاريخها، فتتبع نموها وتطورها، كما تهتم بالدراسة والتحليل بالدور الذي يؤديه الفرد في المجتمع (الدور الاجتماعي) وتعدّد الدور وتغيّر وظائفه.

تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بمجال محدد من مجالات العلوم الاجتماعية وهو دراسة النظم الاجتماعية ووظائفها في إطار البناء الاجتماعي للمجتمعات البسيطة (البدائية) من أجل التعرف على أصولها ومراحل تطورها، فهي تبحث في تطور الأنساق الاجتماعية وتباينها والعوامل التي تعمل على تشكيل البناء الاجتماعي في نسق معين يتمايز عن الأنساق الأخرى. ويحدد معجم العلوم الاجتماعية مجال الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في المجتمعات البدائية[1] ونظرا لصغر حجمها يسهل الدراسة فيها، ثم اتجهت دراساتها المعاصرة نحو المجتمعات الحديثة (الحضرية والصناعية) مما سمح بإجراء بعض المقارنات بين النظم

[1] معجم العلوم الاجتماعية، اعداد لجنة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، مصر، ص 72.

الاجتماعية للمجتمعات البسيطة والحضرية، مما أدى في النهاية إلى الوصول إلى مبادئ عامة تفسر الحياة الاجتماعية.[1]

ينصب اهتمام الأنثروبولوجيا.الاجتماعية المعاصرة نحو دراسة البنية والوظائف وأنماط العلاقات الاجتماعية، وبشكل أدق تدرس السلوك الاجتماعي الذي يشكل نظم اجتماعية[2] كالعائلة ونظام القرابة والتنظيم السياسي وأشكال الملكيات... وتهدف دراسة تلك النظم إلى تحديد العلاقة والتأثير المتبادل فيما بينها من جهة، وبينها وبين الفرد من جهة أخرى.

## II. بوادر نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

ارتبطت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بعلم الاجتماع خاصة بنشوء المدرسة الأنثروبولوجية حين أعلن "أوكست كونت" وتلاميذه عن ضرورة إنشاء علم جديد يعنى بدراسة ظواهر الاجتماع الإنساني، وقد لقيت هذه الفكرة قبولا لدى مجموعة كبيرة من العلماء الذين وجهوا نشاطاتهم إلى الدّراسات المتصلة بنشأة الإنسان الأول ونظم الحياة البدائية فحاولوا أن يربطوا بين نتائجهم وبين ما يقول به علماء الاجتماع.

ظهرت في هذه المرحلة عدّة دراسات أكدت تكوّن الأنثروبولوجيا الاجتماعية وخاصة تلك المرتبطة بالدراسات التي اهتمت بعادات وتقاليد الشعوب البدائية مثل:

- دراسة "وسترمارك" الفنلندي الأصل عن الظواهر الأسرية وتطوّرها في مختلف المجتمعات التي زارها فدرس نظام الزواج، والطلاق، والعلاقات، والروابط الأسرية، والقرابة، والانفصال، والهجر، ونظم الأخذ بالثأر والقتل، وتقديم الأضحيات والقرابين، والمظاهر الطقوسية .. إلخ

---

[1] علي محمد مكاوي، الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر- مدخل اجتماعي ثقافي، الدار الدولية للاستشارات، القاهرة، مصر، 2007، ص 49.

[2] عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سابق، ص 47.

- ومن بين الدراسات العربية المعاصرة نذكر: دراسة "علياء شكري" عنوانها "دراسة ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية في المملكة العربية السعودية"[1] وهي دراسة أنثروبولوجية اجتماعية لعدة قرى بالمحافظات السعودية. نذكر كذلك دراسة "محمد الجوهري" عنوانها "بعض مظاهر التغيّر في مجتمع غرب أسوان"[2].

## III. المكانة المعرفية للأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تعد العملية المعرفية المنطقية أحد جوانب التأكيد على علمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى جانب العوامل العلمية الأخرى وفق المقاييس التالية وهي:

- الاعتراف الأكاديمي بالأنثروبولوجيا الاجتماعية من خلال وجود الاختصاص في مقررات تدريسية في الجامعات والمعاهد العلمية (خاصة الجامعات البريطانية).
- انتشار وصدور الكتب والدراسات والمقالات العلمية المختصة في هذا المجال.
- اعتبار مواضيع الأنثروبولوجيا الاجتماعية عناوين لمؤتمرات أو ندوات علمية متخصصة على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية.

[1] محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 533.

[2] المرجع نفسه، ص 377.

## المحاضرة الخامسة:

## مراحل ظهور وتطوّر الأنثروبولوجيا الاجتماعية

### I. مراحل ظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تتحدّد الفترات الزمنية والمعرفية لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية كمجال علمي مستقل وفق المراحل التالية:

#### 1. الفترة التمهيدية لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

بدأت خلال القرن الثامن عشر بظهور مؤلفات ودراسات تناولت مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية وفق المعطيات التالية:

أ. ظهور كتاب "روح القوانين" للعالم الفرنسي "مونتسكيو"، حيث بيّن أن المجتمع يتكوّن من نظم ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وظيفياً، وبالتالي لا يمكن فهم القانون السائد في مجتمع دون دراسة علاقته بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسكانية للناس. كما ميّز "مونتسكيو" بين البناء الاجتماعي للمجتمع ونظام القيم الذي يعمل في هذا البناء، وأطلق على البناء الاجتماعي مصطلح "طبيعة المجتمع" أما نظام القيم فأطلق عليه مصطلح "مبدأ المجتمع" وهو الرغبات والأهداف التي تدفع البناء الاجتماعي للعمل.

**ب.** بداية بوادر الاهتمام بالمجتمع البدائي وبخاصة مجتمع الهنود الحمر، وهذا ما قدمه العالم "سان سيمون" من معطيات معرفية اجتماعية تجلت بضرورة إنشاء علم للمجتمع (علم وضعي للعلاقات الاجتماعية التي كانت يعدها مشابهة للعلاقات العضوية).

**ج.** إسهامات مفكّرين أمثال: "دافيد هيوم" و"آدم سميث" اللّذين نظرا إلى المجتمع الإنساني على أنه نسق طبيعي بمعنى: أنه ينشأ من الطبيعة البشرية ذاتها، ومن هنا انتشرت مفاهيم الأخلاق الطبيعية، وإسهامات العالم "جون لوك" من خلال تعليقاته

حول الكتابات التي نشرت عن الهنود الحمر والأحكام العامة عن الشعوب البدائية استناداً إلى تلك الدراسات.

كل هذه الدراسات للمفكرين والفلاسفة مهّدت لظهور علم يدرس النظم الاجتماعية، لعله هو الذي سمي فيما بعد "الأنثروبولوجيا الاجتماعية".[1]

**2. المرحلة التكوينية أوالنشأة :**

تحدّد هذه المرحلة خلال بداية القرن التاسع عشر، حيث ظهرت عدة مؤلفات حول النظم الاجتماعية ودراسة المجتمعات البدائية التي شكلت الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية فيما بعد، ومن بين هذه المؤلفات نذكر:

**أ.** "الثقافة البدائية" للعالم الأنثروبولوجي "ادوارد تايلور".

**ب.** "المجتمع القديم" للعالم الأنثروبولوجي "لويس مورغان"

**ج.** "النظم السياسية والقانونية في المجتمع القديم" للعالم الأنثروبولوجي "هنري مين".

**د.** دراسات العالم الأنثروبولوجي "ماكلينان" حول نظم الزواج والقانون والدين... إلخ.

نلاحظ أن هذه الدراسات ركزت على المجتمعات القديمة من خلال اهتماماتها بالنظم الاجتماعية كنظام الزواج والنظام الديني وعلاقته بالنظام القانوني.

كما برزت في هذه المرحلة "مدرسة الاتجاه النشوئي" أي نشأة النظام الاجتماعي، و"المدرسة التطورية" أي مدرسة تطور النظام لاجتماعي.

تجسدت بشكل عام نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة النظم الاجتماعية في المجتمعات البدائية بهدف الوصول إلى أصل هذه النظم، استخدم المنهج المقارن في المعلومات عن المجتمعات البدائية التي كان مصدرها المستكشفون وأعضاء الحملات الاستعمارية التي كان الأوربيون يقومون بها على المجتمعات البدائية غالبيتها كانت مستعمرة. ولعل مصطلح "علماء المقاعد الوثيرة" أطلق على رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية

[1] ايفانز بريتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تر: أحمد أبو زيد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1960، ص ص 34-35.

في هذه المرحلة، لأنهم كانوا يجمعون المعلومات عن طبيعة المجتمعات من خلال الدراسات الوصفية وأقوال المستكشفين والرحالة.[1]

**3. مرحلة استكمال عناصر الأنثروبولوجيا الاجتماعية:**

تحدد هذه المرحلة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر من خلال اسهامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالمعطيات التالية:

- تحديد الفرق بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية، بإبراز مضمون الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها الجانب الاجتماعي وليس الثقافي.
- ظهور العلامة "إيفانز بريتشارد" رائدا لهذه المرحلة، والذي قرر وجوب تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية وأن تعتمد الدراسات الميدانية أو الحقلية في ذلك.
- تأكيد العالم الأنثروبولوجي الشهير "هادون" على المنهجية الخاصة بالدراسات الأنثروبولوجية ومعتمدة على الدراسات الميدانية أو الحقلية.

**4. مرحلة التخصص والتوسّع:**

تحدّد منذ بداية القرن العشرين، حيث بدأت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تتجه نحو التخصص من خلال:

- التخصص في الموضوع: تحدّدت موضوعاتها بالبناء الاجتماعي والنسق الاجتماعي والدور الاجتماعي.
- التخصص في المنهج: تجسيد المنهج العلمي كمنهج يستخدم في الدراسات الاجتماعية الأنثروبولوجية بالاعتماد على الدراسات الحقلية أو الميدانية.
- التمييز بين مفاهيم أو مصطلحات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والاثنوغرافيا، فعُرّفت الإثنوغرافيا بأنها: الدراسة الوصفية لثقافة مجتمع معيّن ومصطلح الاثنولوجيا بأنه: الدراسة التحليلية المقارنة لثقافات المجتمعات القديمة والحديثة.

[1] يحيى مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان – الأنثروبولوجيا، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007، ص ص 223-224.

- توسع وانتشار الأنثروبولوجيا الاجتماعية بفضل الدراسات المتخصصة لعلماء الأنثروبولوجيا والاعتراف العلمي بها.

وفي هذه المرحلة بدأت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تستقل كميدان عن الأنثروبولوجيا العامة في الجامعات الأوروبية وخاصة الجامعات البريطانية.[1]

**5. مرحلة الازدهار:**

تحدّد زمنياً هذه المرحلة خلال الربع الثاني من القرن العشرين، تجلت معطيات الفكر الأنثروبولوجي الاجتماعي من خلال:

**أ.** تكوّن الجمعيات العلمية لدراسة المجتمعات الافريقية مثل: المعهد الدولي الافريقي بجامعة أكسفورد، والمجلة الأنثروبولوجية الاجتماعية التابعة له.

**ب.** التعمق في دراسة نظم القرابة، العشيرة، القبيلة، والنظم السياسية غيرها اعتمادا على الدراسات الحقلية.

**ج.** المنح والاعانات التي قدمتها أقسام الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية بجميع الجامعات الأوروبية وخاصة البريطانية والأمريكية بشأن القيام بأبحاث تصب في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

**د.** بروز الاتجاه الأنثروبولوجي الاجتماعي (البنائي – الوظيفي) عبر رواده المؤسّسين له كـ"برونسلاف مالينوفسكي" و"راد كليف براون".[2]

## II. الاتجاهات المعاصرة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تحدّد هذه الفترة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وفق المعطيات المعرفية التي أثرت فرع الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهي على النحو التالي:

**أ.** بروز بعض مدارس الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل:

---

[1] فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2009، ص 25، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص ص 25-26.

- المدرسة الانتشارية: التي تقوم على مبدأ أن النظم الاجتماعية كثيراً ما تستعار، وتنتقل من مكان لآخر الأمر الذي يفسر التشابه بين هذه النظم عند مجتمعات مختلفة ومتباعدة في ما بينها جغرافياً.
- المدرسة الوظيفية: التي تعتبر المجتمعات أنساقاً اجتماعية مكوّنة من أجزاء تعتمد بعضها على بعض،ويدخل كل جزء بعدد من العلاقات المعقدة مع الأجزاء الأخرى من خلال الدور المخصص له. وهي مدرسة تعتمد على الحاضر ولا تهتم بالماضي، وتقوم على مفاهيم محدّدة، وهي:[1]

- الوظيفة الاجتماعية: المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية من خلال مكوناتهما ووظيفة كل عنصر منهما.
- النسق الاجتماعي: وهي مجموعة العلاقات أبسطها بين شخصين تحكمها الضوابط والقوانين الاجتماعية.
- البناء الاجتماعي: وهو نسق اجتماعي يتميّز بدرجة معينة من الثبات والاستقرار، ويتألف من زمر وجماعات (الأسر، القبيلة، العشيرة) تقوم بتنظيم علاقات الأفراد التي تدخل في نطاقها علاقتهم بعضهم ببعض، كما يسمح بالتكيّف الخارجي مع البيئة الطبيعية وبالتكيّف الداخلي بين الأفراد والجماعات.

**ب.** دراسة المجتمعات الحضرية (المتمدّنة): وتشمل دراسة المجتمعات الحديثة المتحضرة وعدم اقتصارها على المجتمعات البدائية التقليدية. ويقصد بالمجتمعات المتمدّنة والمتحضرة جميع المجتمعات التي باتت فيها خدمات المدينة وخصائصها السكانية والعمرانية والثقافية والاجتماعية.

**ج.** التعاون بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية رغم الاختلاف في الموضوع، حيث يشكل موضوع البناء الاجتماعي المحور الأساسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية،

[1] ايفانز بريتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تر: أحمد أبو زيد، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، 1975.

ويشكل موضوع الثقافة أساس الأنثروبولوجيا الثقافية، ولكنهما في الواقع الميداني مرتبطان ببعضهما.

## المحاضرة السادسة:

## البناء الاجتماعي الموضوع الرئيسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية

### 1. تعريف البناء الاجتماعي: Social Structure

هو إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة (التجمعات القائمة على القرابة، والجنس والسن، والمصلحة المشتركة، والمكان والمنزلة) أو كنموذج مقام تبعًا لهذه العلاقة. وتعد دراسة البناء الاجتماعي جديدة نوعًا ما على الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية. ويمكن القول إنها بدأت براد كليف يراون الذي نمى هذا المفهوم ليقابل بينه وبين مفهوم الكائن العضوي في العلوم البيولوجية.

وهناك – كما يتضح من التعريف السابق – طريقتان على الأقل لتناول مفهوم البناء الاجتماعي، ويبدو أن كليهما مشروعًا. ويرجع التنافر بالتأكيد إلى غموض معنى كلمة بناء. ويقول كروبر: «يكون لكلمة بناء في بعض الأحيان معناها البديهي، عندما نتحدث مثلاً عن بناء زورق الكانو. وهي تؤكد في بعض الأحيان الشكل، وأحيانًا أخرى التنظيم كما هو الحال في مصطلح البناء الاجتماعي الذي يميل على أن يحل محل مصطلح التنظيم الاجتماعي».[1] ونجد أن معنى التنظيم هذا واضح أيضًا في تعريف كروبر وكلاكهون Kluckhohn للبناء، ألا وهو: «طريقة انتظام الأجزاء بعضها مع بعض». على أن البناء الاجتماعي لا يفهم فقط كتنظيم بين أجزاء وإنما يمكن أن يفهم أيضًا كشكل – أو إطار مجرد– كما هو الحال في بعض التعريفات الحديثة.

البناء الاجتماعي هو تنظيم العلاقات الاجتماعية في كيان كلي واحد. ويرتبط هذا المفهوم للبناء الاجتماعي بمفهومي الوظيفة والتشكيل. وقد يظهر في بعض الأحيان بشكل غير واضح في تعريف مالينوفسكي (في مفهومه عن "الكيان الكلي العضوي" Organic Whole) على حين

---

11 Radcliffe Brown, Structure and function in primitive, London, 1956, p 191 نقلا عن قباري محمد اسماعيل، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت، ص ص 349–350..

يحدده وارنر Warner عن وعي بأنه "نسق للتجمعات الرسمية وغير الرسمية التي تنظم السلوك الاجتماعي للأفراد".

فيقرر راد كليف بران أنه عندما يستخدم مصطلح بناء فإنه يعني:«نوعًا ما من الترتيب المنظم للأجزاء أو المكونات». وهكذا فالبناء الاجتماعي هو «تنظيم الأشخاص في علاقات منضبطة ومحددة مؤسساتيًا»، وهو «شبكة مركبة من العلاقات الاجتماعية»، و"البناء" هو الآن المفهوم الأساسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهو يعني أننا نفكر في "المجتمع"، وليس في "الثقافة" كتكوين منظم للأجزاء، وأن واجب الباحث هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره. وهو يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد، وهي علاقات ينظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها.[1]

البناء الاجتماعي عبارة عن نموذج model على غرار الواقع الاجتماعي الأمبيريقي، ولكنه ليس مطابقًا له. وكان أول من قدم هذا النوع من التعريفات فيرث Firth، وفورتيس Fortes وليفي شتراوس. ويؤكد فروتيس أن «البناء الاجتماعي لا يظهر مباشرة في الواقع الملموس»، ويشير فورتيس في مناسبة أخرى إلى أن البناء الاجتماعي «ليس جانبًا من جوانب الثقافة الكلية لشعب ما على أنها مندرجة تحت البناء الاجتماعي».

ويذهب هذا الفريق من العلماء إلى أنه يجوز أن يندرج تحت البناء الاجتماعي مجموعة كاملة من البناءات فهو "نظام النظم" على نحو ما يقول ليفي شتراوس، ويتكلم إيفانز برتشارد عن شرائح اجتماعية. وتشير هذه البناءات التحتية (الفرعية) إلى أجزاء المجتمع مثل نسق القرابة، والتنظيم الاجتماعي (بمعناه المحدود) والتدرج الاجتماعي.

ويرى ليفي شتراوس أن «هدف دراسات البناء الاجتماعي هو تفهم العلاقات الاجتماعية بمساعدة النماذج». وسواء فهم البناء الاجتماعي كنموذج أو كتنظيم للعلاقات الاجتماعية فإن البحث فيه يسعى نحو الأهداف التالية التي حددها راد كليف براون وهي: التصنيف المنهجي

[1] محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2007، ص 52.

للأنساق الاجتماعية وتفهم ملامح معينة لأنساق معينة، والوصول إلى تعميمات صحيحة بخصوص طبيعية المجتمعات البشرية. ويخلص رادكليف براون إلى أننا «نعني طبعًا مثل هذه التعميمات عندما نتكلم عن القوانين السوسيولوجية». فعملية الفهم الحقيقي للعمليات الاجتماعية يعتمد على دراسة النسق الكلي الذي يؤلف النظام الاجتماعي جزءا منه، وينظم هذا النسق ثلاثة عناصر متميّزة وهي: الأفراد الذين يتشكل منهم المجتمع، والبيئة الطبيعية التي يتعيّن على المجتمع أن يكيّف حياته معها، وأخيرا الوسائل الفنية اللازمة للمعيشة التي تضمن بقاء المجتمع واستمراريته عن طريق نقلها من جيل لإلى جيل.[1]

**2. خصائص البناء الاجتماعي:**

**أ. البناء اجتماعي يتكون من أنماط من العلاقات الاجتماعية:**

وهي عبارة عن علاقات محسوسة بين أفراد أو جماعات المكوّنة للمجتمع مثل: عبارات وطقوس التحية بين أفراد المجتمع لكل من الذكور والإناث، وطقوس تحضير الطعام والإطعام في الولائم الشعبية، والمراسيم الاحتفالية كالزواج ومراحله المختلفة، وغير ذلك من الأنماط الاجتماعية المبنية أساسا على العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات.

**ب. البناء الاجتماعي كلٌّ أو نسيج متشابك الأجزاء:**

يتكوّن البناء الاجتماعي من عناصر أو أجزاء متشابكة فيما بينها وخير مثال على ذلك في مجتمعنا العربي نجد علاقات مثينة بين الدين وباقي عناصر البناء الاجتماعي، حيث ينظم الدين العلاقات العائلية من زواج وطلاق وتربية الأطفال وعلاقة الزوج بزوجته ونظام الميراث. كما نرى أن العديد من المثل العليا العربية من كرم وشجاعة واحترام الوالدين وكبار السن والالتزام بالشعائر الدينية وعفة الفتاة ما هي إلا فضائل أقرها الإسلام.كما يؤثر الدين في حياتنا اليومية كترديد التحية "السلام عليكم" وفي حياتنا الاقتصادية (تحريم الربا) والمأكل (تحريم أكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمور والمخذرات) والملبس (اللباس المحتشم بالنسبة للمرأة)...إلخ.

[1] رالف لينتون، دراسة الإنسان مرجع سابق، ص 357.

ومن هذا المنطلق فالبناء الاجتماعي نسيج يتكوّن من أجزاء متشابكة ومتداخلة وليس من عناصر مستقلة ومنعزلة عن بعضها البعض (يتكامل النظام الديني مع النظام الاقتصادي مع النظام التربوي وغير ذلك).

**ج. البناء الاجتماعي مستقر ولكنه ليس جامداً أو خالداً:**

يتميز المجتمع عادة بالاستمرار لفترات طويلة من الزمن عكس ما يحدث للأفرد الذين يكوّنونه، ويترتب عن ذلك أن البناء الاجتماعي يتصف بخاصية الاستقرار، ولكن هذا الأخير لا يعني الثبات. فمثلا في كل يوم تحدث ولادات كما تحدث وفيات، ويهاجر أفراد ويعود آخرون، وتتغيّر مظاهر العلاقات الاجتماعية فيه لتغيّر الأشخاص. كما أن البناء الاجتماعي قد يتعرض في بعض الأحيان إلى ضغوط خارجية تعمل على زعزعته وقد يزول كلّية أو يزول عنصر منه تحت تأثير متطلبات الحياة المتزايدة والعولمة إلخ.

فالبناء الاجتماعي هو الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ويعني المجتمع في حالته البدائية والمتطوّرة بكل نظمه ومكوّناته وأساليب عيشه وعاداته وتقاليده وغير ذلك.

سنتطرق لاحقا لنموذج من البناء الاجتماعي عند المجتمعات البدائية عبر المجموعات الثلاث التي يتكوّن منها هذا البناء وهي:

- الوحدات الاجتماعية.
- النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
- أنماط السلوك الاجتماعي.

## المحاضرة السابعة:
## الوحدات الاجتماعيـة

اهتمت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة المجتمعات التقليدية من خلال التعرض لخصائصها ومن ثَمَّ تحديد ماهيتها وتكوينها البنيوي انطلاقا من الوحدات الاجتماعية المشكلة لها.

### 1. خصائص المجتمعات التقليدية:

تحدّد خصائص المجتمعات البدائية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية كما يلي:

- صغر حجم المجتمع بحيث يستطيع كل فرد فيه معرفة جميع أفراده.
- حالة التجانس في السكان (نوع واحد).
- العزلة الاجتماعية في العلاقات الاجتماعية.
- ممارسة جميع الفنون المعروفة في المجتمع من قبل جميع الأعضاء.
- نظام القرابة هو الأساس فيه وفي الغالب يتكوّن المجتمع البدائي من مجموعة من الأقارب.
- تنقسم العلاقات الاجتماعية إلى أنماط على أساس الاختلافات بين أفراد المجتمع من حيث انقسامهم البيولوجي إلى ذكور وإناث، ومن حيث السن (أطفال، شباب، كهول، شيوخ)، ومن حيث مراكزهم في النظام العائلي (آباء، أمهات، أبناء وبنات، أعمام وعمّات، أخوال وخالات ... وهكذا).
- التعاون من أجل تأمين سبل العيش والدفاع وتحقيق الأمن.
- مركز الفرد في المجتمع هو محور وجوده.
- احترام التقاليد الاجتماعية من قبل جميع أفراد المجتمع.
- عمليات الضبط الاجتماعي غير رسمية وتقوم على العرف والعادات والتقاليد.
- النظام السياسي بسيط وحدود.
- النظام الأخلاقي مبني على أسس القيم المتعارف عليها، ويربط أفراد المجتمع.

## 2. أنماط الوحدات الاجتماعية في المجتمع التقليدي:[1]

تتعدّد الأنماط في المجتمعات البدائية وهي عبارة عن أشكال مورفولوجية ممثلة في الأسرة والعشيرة والقبيلة.

أ. **الأسرة:** يعرّفها العالم "ميردوك" بأنها: "جماعة اجتماعية تتميّز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية يعترف بها المجتمع وتتكوّن على الأقل من ذكر وأنثى بالغة وطفل سواء كان من صلبها أو عن طريق التبني".

يوجد نوعان من الأسر:

**الأسرة النواة:** (الأسرة الصغيرة) تتكوّن على الأقل من زوج وزوجة (ثنائية) وعدد محدود من الأبناء. ومن أهم خصائصها:

- ظاهرة اجتماعية عالمية أي لا يخلو مجتمع انساني منها.
- تقوم بوظائف رئيسية عديدة وهي الانجاب، التكفل المعيشي والاقتصادي والتربوي والتعليمي والصحي.
- العيش المشترك في بيت واحد.
- تطبّق نظام وحدانية الزوجة.

والأسرة المركبة: هي متعدّدة الأزواج، وتحدّد خصائصها كالتالي:

- تتكوّن من أسر زواجية متعدّدة تعيش معاً في وحدة اجتماعية وسكنية، وأساس ترابطها هو الزوج المشترك.
- توجد الأسرة متعدّدة الزوجات في غالبية المجتمعات الإنسانية.
- يتولّد عن طبيعة تركيب الأسرة متعدّدة الزوجات خلافات عكس ذلك تقل النزاعات في الأسرة الزواجية الأحادية.

[1] للاطلاع الرجوع إلى كتاب محمد رياض: الإنسان دراسة في النوع والحضارة، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص ص479-482، بتصرف.

- أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية في القرن العشرين وجود الأسر الزواجية متعدّدة الزوجات وعدم وجود الأسر الزواجية متعدّدة الأزواج وإن وجدت فهي محصورة في بعض المجتمعات نظرياً. بالنسبة للمجتمع العربي الاسلامي فهذه المسألة محسومة، فالقرآن الكريم حدد أبعاد الأسرة المركبة في نظام الزواج وهي وجود نظام الزواج الأحادي ومتعدّد الزوجات فقط وفق شروط معيّنة أهمّها العدل بين الزوجات.

**الأسرة الممتدّة:** تتميّز بخصائص وهي كالآتي:

- تتكوّن من عائلتين زواجيتين أو أكثر، ويشترط توافر رابطة القرابة الدموية الأولية بين أعضاء تلك الأسرة، ويعيش أفرادها في وحدة سكنية واحدة، ويسود بينهم التعاون الاقتصادي (أب وزوجته، وأبناؤه وعائلاتهم) وأحياناً يضاف إليهم إخوة الأب وعائلاتهم.
- تجمع أحياناً متعدّدة وتتسم بصفة الاستمرار.
- تتطوّر الأسرة الممتدّة أحياناً إلى عشيرة.
- تكوِّن وحدة اقتصادية متعاونة، ويكون مؤسسها هو رئيس تلك الوحدة الاقتصادية.

ب. **العشيرة:** تُعدّ وحدة اجتماعية امتداداً للأسرة، وتتميّز بتسلسل قرابي معيّن يتفق مع نظام سكني خاص وبالتالي هي وحدة مكانية، ويعتقد أفرادها بوجود "جد" مشترك قام بتأسيسها، وأحياناً يكون شخصية أسطورية، ومن أهم خصائصها:

- القرابة الدموية المباشرة.
- أفرادها يعيشون في مكان واحد.
- التماسك الاجتماعي القوي بين أفرادها.
- العشيرة مختلفة الحجم.
- نسب العشيرة إلى جد مشترك.

- هي أشكال: الأبوية (عشيرة النسب إلى الأب) والأموية (عشيرة النسب للأم: عشيرة الم)، وعشيرة الخال (أي الأم بالنسبة لأخيها الذكر).

أمّا وظائف العشيرة فهي:

- وظيفة التضامن الاجتماعي: فالعشيرة هي وحدة اجتماعية يسودها التماسك والولاء الاجتماعيين، ويترتب على ذلك شعور أفرادها بالأمن والاستقرار.
- وظيفة الأمن الداخلي والخارجي من خلال قيام رئيس العشيرة وأعوانه بالاشراف على تطبيق القانون الذي يتمثل بالأعراف والتقاليد.
- وظيفة نظام الزواج لتحقيق البقاء والاستمرار، ويكون ذلك إما عن طريق الزواج الداخلي (ابن العم مثلا) أو الخارجي (من عشيرة أخرى).
- وظيفة تنظيم النشاط الاقتصادي من خلال توزيع العمل على أفراد العشيرة وتوزيع الملكية لهم.
- وظيفة تنظيم النشاط الديني من خلال إجراء الطقوس الدينية لتحقيق الجانب الروحي في العشيرة.
- وظيفة النشاط السياسي فيما يتعلق بإعلان الحرب وشؤون الدفاع عن العشيرة أو جملة القرارات التي تتعلق بأمن وسلامة العشيرة اتجاه العشائر الأخرى.

**ج. القبيلة:** هي وحدة اجتماعية تجمع عشائر عدّة، وتتميّز بالتالي:

- وحدة المكان واللغة والثقافة.
- وحدة جغرافية واحدة (أي يشغلون قطعة أرض واحدة).
- تتسم بتنظيم سياسي محدد (رئيس القبيلة) و(مجلس القبيلة)، من أهم وظائفه: تنظيم شؤون الدفاع والحرب وتأكيد قوة الشعور الجماعي بوحدة القبيلة.

## المحاضرة الثامنة:

## النظم الاجتماعية وأنماط السلوك الاجتماعي في المجتمعات التقليدية

تشكل النظم الاجتماعية ضوابط للسلوك الاجتماعي في علاقات الأفراد فيما بينهم لإشباع حاجاتهم، ولعلاقاتهم مع الآخرين.

ينظر العالم الأنثروبولوجي "راد كليف براون" للنظم الاجتماعية على أنها: "الأساليب النمطية للسلوك الاجتماعي يتكوّن منها الجهاز الذي عن طريقه يستطيع البناء الاجتماعي أن يستقر ويستمر".

### I. النظم الاجتماعية:

فيما يأتي نعرض أهم النظم الاجتماعية التي تعمل على استقرار واستمرار الأشكال المورفولوجية للبناء الاجتماعي كالأسرة والعشيرة والقبيلة، وهي كما يلي:

#### 1. النظم القرابية:

وهي انتماء الفرد في معيشته وعلاقاته مع الآخرين وفق معيار القرابة، وهي إما دموية أو اجتماعية. يقول العالم الأنثروبولوجي "إيفانز بريتشارد" في وصف قبيلة النوير بالسودان: "إذا أردت أن تعيش بين مجتمع النوير عليك أن تحترم النظم على معاملتهم كأقارب لك وهم يعاملونك كأحد أقاربهم، ويترتب على تلك العلاقات حقوق وواجبات ومميزات. وفي ذلك المجتمع يكون الفرد إما قريباً لجميع أفراده وإما غريباً ويعامل معاملة الأعداء". كما تعمل القرابة في بعض المجتمعات على تكوين جماعات اجتماعية لها قوة التأثير في الحياة الاجتماعية.[1]

وتسود في النظام القرابي تسلسلا وفق قواعد قرابية تتحدّد كما يلي:

- التسلسل القرابي الأبوي (القرابة للأب).
- التسلسل القرابي الأموي (القرابة للأم).
- التسلسل القرابي الثنائي (القرابة للأب أم الأم).

[1] محمد رياض: مرجع سابق، ص 482.

وتتعدّد صور القرابة مثل: أقارب الدم (جد، أب، أخ، حفيد) وأقارب المصاهرة: (زوج الأخت، زوجة الأخ...) وهكذا قرابة أولاد العم وأولاد الخال... إلخ.

**نظم الزواج:** هي مجموعة العناصر والقواعد والقوانين والحقوق والواجبات والعمليات التي تحقق استقرار الزواج الذي يعرّف على أنه مجموعة القواعد التي تحدّد صور العلاقات بين شخصين بالغين مباح بينهما شرعية العلاقة الجنسية، ويحققان الأسرة التي لا تتكوّن دونها.

وقد حاول علماء الأنثروبولوجيا حصر نظم الزواج كما يلي:

- عدد المشتركين في علاقة الزواج إما فردي (زوج وزوجة) وزواج متعدّد (تعدّد الزوجات).
- نظم السكن بعد الزواج (مع أسرة الزوج، أسرة الزوجة، أسرة خال الزوج، حر أو غير مقيّد بمكان من هذه الأمكنة)
- نظم اختيار الشريك، حيث لا يترك المجتمع الفرد حرّاً في اختيار شريكة حياته وإنما يضع له النظم التي يجب أن يستمر عليها مثل: نظام المحارم، ونظام الطبقة أوالدين أو المركز الاجتماعي.
- طرق اختيار شريكة الزوج مثل: الوالدان والأقارب، الخاطبة أومن يقوم بهذه المهمة، إضافة إلى وجود علاقات قرابية محدّدة، حيث ساد في المجتمعات البدائية نظام (السكن مع الخال) والتالي يضطر الفتى أن يتزوج بنت خاله (إن وجدت) وأخيراً طريقة الشخص الراغب بالزواج حيث يحدّد صفات شريكة حياته التي ستختار له.
- طرق الزواج، وهي المراحل التي تسبق الزواج مثل: [تقديم مهر للعروس وأهلها، العمل عند أهل العروس خاصة في حال عدم توافر المهر فيعمل بمقدار قيمة المهر، الزواج المتبادل كزواج أخ العروس من أخت العريس وهكذا، طريقة الخطف (خطف العروس)، طريقة الميراث (وراثة الرجل زوجة شقيقه بعد وفاته"، طريقة التبني "تبني طفل على أن يتزوج من إحدى البنات فيما بعد)، طريقة الهرب (الهرب مع فتاة دون التقيّد بالعادات والتقاليد) ]

- مدى قوة علاقة الزواج هل هي دائمة ويمنع فيها الطلاق أو يباح.

**2. النظم الاقتصادية**

يقصد بها الأساليب المتنوعة والمستخدمة في اشباع حاجات الإنسان المعيشية (المادية)، حيث تجمع ثلاث عناصر وهي: الموارد، الأدوات، والعمل الإنساني.

لا يخلو المجتمع الإنساني من النظم الاقتصادية ، فالإنسان يأكل ليعيش، والإحساس بالجوع يدفع الإنسان للبحث عن الطعام، وبفضل الطعام تتولد الطاقة اللازمة لحركة الإنسان وأنشطته.

اتسمت النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية بالبساطة وفق الطرق التالية:

- نظام جمع الطعام من خلال البحث عنه في الطبيعة وكان عبارة عن ثمار وبذور ...إلخ.
- نظام الصيد من حيوانات وطيور، وكانت أدوات الصيد مصنوعة من الطبيعة ذاتها.
- نظام البستنة من خلال استئناس النبات والحيوان (التربية والرعي) ثم تحوّل إلى نظام الزراعة استخدمت فيه أدوات بسيطة وتقليدية.
- نظام الرعي كأسلوب للتكيف مع البيئة.

**3. النظم العقائدية والطقوسية:**

يقصد بها النظم الدينية حيث يحضر الدين في كل مجتمع إنساني، ويقوم الدين بوظائف اجتماعية رئيسية تهدف إلى حفظ تماسك أفراد المجتمع وترابطه، إلى جانب الوظائف النفسية مثل: الشعور بالراحة النفسية والقوة للاعتقاد في وجود قوة غيبية عظيمة تفوق قدرة الانسان تساعده في حياته وبعد مماته، ولذلك لا يعيش أي مجتمع إنساني دن دين.

تعدّدت صور وأشكال ممارسة الطقوس الدينية في المجتمعات البدائية مثل: صورة نظام عبادة عناصر الطبيعة، وجميع هذه الصور تؤكد وظيفة الدين العامة بأنها تأكيد التماسك

والوحدة والتعاون بين أفراد القبيلة الواحدة، الأمر الذي يترتب عليه استمرار واستقرار البناء الاجتماعي.

**4. النظم السياسية**

يقصد بها الشكل التنظيمي لعلاقة الفرد بالحاكم (الزعيم) وهو الشكل السياسي في البناء الاجتماعي. وقد شهدت المجتمعات البدائية أشكالا من النظم السياسية مثل: نظام زعامة رئيس القبيلة أو العشيرة أو رب الأسرة الممتدة، وسلطة هذا الزعيم على الأفراد تجسد حقيقة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

## II. أنماط السلوك الاجتماعي (المركز والدور الاجتماعي)

يتحدّد السلوك الاجتماعي للأفراد حسب المركز الذي يحتلونه وبالتالي الدور الذي يؤذونه، كما قد تحدث متغيرات اجتماعية لثقافية والتي تشهدها المجتمعات (التحضر مثلا وما يترتب عنه) فتتعدّد المراكز الاجتماعية محدثة أدوارا جديدة فتأثر على السلوك الاجتماعي.

**1. المركز الاجتماعي:**

يحتل مفهوم المركز الاجتماعي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية مكانة كبرى نظرا لدوره في تحليل وفهم البناء الاجتماعي بصفة عامة والعلاقات الاجتماعية بصفة خاصة، فمعظم التفاعلات الاجتماعية بين الجماعات الاجتماعية المختلفة ما هي إلا تأثير متبادل بين المراكز الاجتماعية وليس تأثيرا متبادلا بين أشخاص.[1] فالمراكز الاجتماعية لا تشكل فيها أسماء الأفراد أية أهمية، فالعملية الاجتماعية تقودها المراكز الاجتماعية والمعايير المرتبطة بها.[2]

[1] العقبي الأزهر، المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام الأسري العربي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، جوان 2012، ص 78.

[2] محمود فؤاد حجازي، البناء الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1979، ص 49.

**أ. تعريف المركز الاجتماعي:**

يشير المركز الاجتماعي إلى" :الوضع الذي يشغله الشخص أو جماعة من الأشخاص داخل جماعتهم .[1]" وهنا يجب ملاحظة أن مصطلحي" المركز" و"المكانة" الاجتماعيين غير متطابقين، فبينما تشير المكانة الاجتماعية Social position إلى موقع الفرد على مستوى النسق أو المجتمع ككل، فالمكانة الاجتماعية عبارة عن عدة مراكز اجتماعية يشغلها الفرد في المجتمع، وتتحدد هذه المكانة بناء على هذه المراكز، وتخضع للمعايير والقيم الاجتماعية، فقد يحتل الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية مكانة اجتماعية عليا في سلم التدرج الاجتماعي، وقد يشغل مكانة متوسطة أو دنيا . وقد يصنف المجتمع المكانة الاجتماعية تبعا للمراكز التي يشغلها الفرد، تصنيفا اقتصاديا على أساس طبيعة المهنة أو الوظيفة أو حجم الدخل الشهري، وقد يكون أساس التصنيف الانتماء العائلي أو القرابي أو تصنيف على أساس سياسي تبعا للسلطة التي يمتلكها الفرد وهكذا .[2]" أما مصطلح المركز الاجتماعي فيشير إلى وضع الفرد في الجماعة ويتحدد هذا الوضع تبعا لاعتبارات البعض منها موروث والبعض الآخر مكتسب.

**ب. أنواع المراكز الاجتماعية:**

ميّز العلامة رالف لينتون R.Linton" بين نوعين من المراكز وهما:[3]

- المراكز الموروثة.
- .المراكز المكتسبة .

وبالنسبة للمراكز الموروثة فيقصد بها، تلك المراكز التي يرثها الفرد من والديه أو التي تولد معه أو التي تفرضها عليه النظم الاجتماعية، وهذا النوع من المراكز تعتبر مراكز الغير إرادية أي لم

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 20 .

[2] محمد بن ابراهيم السيف ، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، العربية السعودية، 1997 ، ص ص 35-36.

[3] فاروق العادلي، سعد جمعة ، الانثروبولوجيا, مدخل إجتماعي وثقافي– بل برينت للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، 2000 ، ص283 .

تكن لإرادة الفرد دخل في الحصول عليها ."[1] وهو ما يعني أن هذه المراكز لا تتصل بقابليات الأفراد ولا بالفروق الشخصية بينهم، كما أنها لا تتطلب جهدا خاصا منهم للحصول عليها.

هذه المراكز المنسوبة يحددها جملة من الأسس، في كتابه" نماذج بشرية Human types" أشار "ريموند فيرث R.Firth" إلى أربعة منها أساسية تؤدي في رأيه إلى ظهور المراكز الاجتماعية الموروثة وهي :الجنس والسن والموطن والقرابة[2] "

وتتعدّد أشكال تطبيقات المراكز في المجتمعات البدائية نذكر منها:

- مراكز أساسها النوع: مركز للرجل وآخر للمرأة على أساس التقسيم النوعي (ذكور وإناث).
- مراكز أساسها العمر (الشاب البالغ – الشيخ).
- مراكز أساسها الثروة أو ما يملك الفرد.
- مراكز أساسها المهارات (حسب إتقان المهارات المعترف بها اجتماعياً، أي ذات قيمة في الوسط الاجتماعي). ففي المجتمعات ذات النزعة الحربية تعطى مراكز سيادية للمحاربين الأقوياء وهكذا.
- مراكز أساسها الانتماء لجمعيات معيّنة (دينية، سياسية واجتماعية)، حيث تحدّد مكانة ومركز الفرد في المجتمع استناداً إلى انتمائه لهذه الجمعيات.

ففي ضوء هذه الاعتبارات يتم التمييز داخل الجماعات الأولية المختلفة بين مركز الذكر ومركز الأنثى ."[3] وكذا بين أوضاع كل من الأطفال والبالغين والشيوخ ."[4]و فضلا عن عاملي الجنس والسن، ثمة أوضاع أخرى يسندها المجتمع إلى الأشخاص الذين يحملون صلات قرابية معينة

---

1 المرجع نفسه، ص 283.

2 أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي- مدخل لدراسة المجتمع ، ج-1 المفهومات، الهيئة المصرية للكتاب، ط 8 ، مصر, ، ص161 .

3 مجد الدين خمش، علم الاجتماع الموضوع والمنهج، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، 1999 ، ص 14.

4 Genet .L, Remond, R- Le monde contemporain-librairie Hatier, Paris-France,1962, P:658.

كصلات الدم وصلات النسب) لمصاهرة"[1] ، أو لارتباط ولادتهم بمكان معين (الموطن الأصلي) "[2] .

هذه المراكز مثل الذكورة والأنوثة، الطفولة والكهولة وغيرها بمثابة أوضاع اجتماعية موروثة يحصل عليها الفرد داخل جماعته الأولية تلقائيا وبشكل آلي منذ لحظة ميلاده، دون أدنى تدخل أو اختيار منه، فمراكز السن والجنس كلا منهما موروثة، فهذه المراكز ترتكز على الظروف البيولوجية ، وليس للإنسان قدرة على فعل شئ حيالها وكذلك مراكز القرابة موروثة، فنحن لا نختار أقاربنا، وبالمثل ليس للإنسان اختيار في مكان ولادته، وبالتالي يصبح مركزه الخاص بموطنه الأصلي موروث.

هذه المراكز الاجتماعية المنسوبة اقترنت تاريخيا بالتقدير الاجتماعي لمختلف الأدوار الاجتماعية التي يؤديها كل من الذكور والإناث، الكبار والصغار، الأقارب والأجانب في النسق القرابي والمجتمع المحلي عموما، وتعامل كمراكز متمايزة، الخطوط الفاصلة بينها واضحة المعالم.

### 3. تدرج المراكز الاجتماعية الموروثة Statuses Hierarchy:

تتميز المراكز الاجتماعية بتباين مراتبها داخل الجماعة الاجتماعية فضلا عن تنوعها، حيث لا توجد جماعة يتساوى فيها جميع أعضائها في المركز، ولذلك تشمل كل الجماعات الاجتماعية على نظام يحدد أشكال وخصائص التباين بين أفرادها، ويعد هذا النظام من أهم عناصر البناء الاجتماعي لأية جماعة، تبدو فيه المراكز وقد رتبت في شكل سلم متدرج يشغلها الأعضاء بتتابع منظم، كل مركز منها يحمل معه نوعا معينا من المقام والمميزات والقوة في علاقاته بالمراكز الأخرى في الجماعة " [3]هذا ويشير تدرج القوة إلى" الوضع بالنسبة للقدرة على إعطاء

---

[1] فاروق اسماعيل- التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي -دار المعرفة الجامعية،ط2 ، الإسكندرية، مصر 1984 ، ص166 .

[2] محمود فؤاد حجازي، مرجع سابق، ص53 .

[3] محمود فؤاد حجازي، مرجع سابق، ص 65.

الأوامر ومدى طاعتها[1]" . يلاحظ داخل الجماعات الأولية مثلا أنه بناء على الجنس والسن حددت مراكز السلطة فيها، فبالنسبة للجنس، فقد جرت العادة أن يتم تعيين الرئيس أو صاحب السلطة من الرجال دون النساء، وأن يتمتع الذكر بالمركز السيادي دون الأنثى، وهذا لعدة اعتبارات اقتضت ذلك ,منها خط النسب السائد في المجتمع، فهو أحد العناصر الحاسمة في تحديد العضو الذي تتركز بيده السلطة داخل الجماعة وكذا الثروة ,فحيث تسود المجتمعات الأبوية يحتل الذكر مركزا اجتماعيا أعلى من مركز الأنثى، حيث يعتبر الرجل هو رب العائلة الذي يتعين عليه أن يعمل لكسب قوته وقوت زوجته وأولاده، في الوقت الذي تنصرف فيه المرأة بكليتها إلى تصريف شؤون البيت والإشراف على تربية الأطفال[2]"، ولعل هذا ما يفسر أنه في المجتمعات الزراعية خاصة ذات الاتجاه الأبوي، نجد أن الذكور هم العنصر المسيطر على السلطة داخل الأسرة الممتدة وحتى خارجها كامتداد لها وكذا هم الطرف المحتكر للثروة من خلال حرمان الإناث من الميراث في أغلب الأحيان، خاصة ميراث الأرض، كما يرجع تمتع الذكر بمركز سيادي، إلى اعتبارات اقتصادية بالدرجة الثانية تعود إلى التقدير الاجتماعي لذلك الجنس صاحب الأنشطة البالغة الأهمية من الناحية الاقتصادية في المجتمع، فحسب فرانز فانونFrantz Fanon" ففي جميع المجتمعات التي يمثل فيها العمل في الأرض، المصدر الرئيسي لمورد الرزق، نجد أن الذكر وهو المنتج المميز، يتمتع بمركز سيادي" [3].

فالعمل في الأرض من الأعمال الشاقة والمرهقة التي تتطلب مجهودا عضليا كبيرا وصبرا طويلا وحضورا ومتابعة دائمة، وتحمّل أعباء لا حصر لها، وهي التزامات لا تقوى عليها الأنثى سواء تعلق الأمر بالمسائل التي تتطلب استخدام القوة البدنية أو التواجد خارج المنزل ليلا ونهارا، فهذا النوع من المسؤوليات والحمل يتعارض وطبيعة الأنثى، خاصة في فترات الحمل والولادة والرضاعة وتربية الأبناء، كما يتعارض مع طبيعة الأنثى العاطفية والرقيقة بطبعها، فقد

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق –ص ص 21–22.

[2] أحمد أبو زيد– ، البناء الاجتماعي، مرجع سابق، ص 138.

[3] فرانز فانون، سوسيولوجية ثورة ، تر: ذوقان قرقوط، ,دار الطباعة ، ,بيروت ، لبنان، 1970 ، ص 104.

أشارت دراسة حديثة أن" المكانة التقليدية للمرأة في المجتمع الليبي تتحدد في ضوء المعاني التي يمنحها الأفراد للخصائص البيولوجية لكل من الرجل والمرأة، فالذكورة ترتبط بالشجاعة والكبرياء والعدوان مما يدفع الأفراد إلى ضرورة تخليد أنفسهم من خلال إنجاب الذكور[1]" كما يأتي تمتع الذكر بمركز سيادي على الأنثى، كما يعتقد، انسجاما مع قيم دينية متجذرة في وجدان أبناء المجتمعات العربية والإسلامية وسواء كانت هذه الفكرة تتخذ المفهوم الشائع بأفضلية الرجال على النساء أو مفهوم القيام بمسؤولية الإنفاق على النساء فإنها تلقى ترحيبا من الرجال في المجتمع التقليدي المحلي (العربي من جهة وتتفق مع معايير السلوك التي تحددها قاعدة النسب الأبوي من جهة أخرى[2] .والتي تجعل الذكر، كان أبا أو أخا أو زوجا، تقليديا هو رئيس الأسرة الذي يعيلها اقتصاديا ويمثلها في المجتمع والعضو المسيطر وصاحب الكلمة العليا فيها.

و فضلا عن عامل" الجنس"، يمثل" **السن** "عاملا آخر تستند عليه الجماعات الأولية في منح الحقوق لأعضائها خاصة تلك المتعلقة بالسلطة، فقد ارتبطت هذه الأخيرة بمختلف مراحل الحياة الإنسانية إذ غالبا" ما تتركز في يد كبار السن من الرجال" [3] سواء كان هذا الكبير جدا أبا أو أخا أكبر" .فالسلطة في العائلة ترتبط بالسن،( ولهذا كان الأب الأكبر هو صاحبها، فإذا تقدمت به السن فإنه يظل صاحب السلطة شكليا ولكنه يشرك معه أكبر أولاده الذي يمارس سلطات والده فعلا، وعند ذلك يتمتع بما يتمتع به والده من طاعة واحترام، فإذا مات الوالد يظل الإبن الأكبر صاحب السلطة ما لم تتفكك العائلة " [4]... و أن يخلف الابن الأكبر أباه في مركز السلطة، فلا غرابة في ذلك، فقد أشار تفيد في العديد من اللغات كلا من معنى الابن (aîné)كثير من العلماء أن كلمة بكر البكر وكذا معنى الشخص القائد، ولهذا عد كل بكر

1 السيد الحسيني ، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، ط2 ، القاهرة، مصر 1981 ، ص299 .

2 مصطفى السخاوي، النظم القرابية في المجتمع القبلي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، مصر،1996 ، ص 137.

3 محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص90 :

4 محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1967 ، ص 116.

(أكبر الأولاد) صاحب الأهلية والحق في القيادة [1]" وأن يتمتع الأكبر سنا بالسلطة فهذا قائم داخل النسق العائلي وحتى خارجه في أحيان كثيرة، بحيث أضحى يبدو تراتب السلطة في العائلة وحتى في المجتمع المحلي انعكاسا لتراتب الأعمار، وأن تتمركز السلطة حول الأب (الأكبر عموما ) في العائلة ومنها إلى المجتمع ككل، فإن هذا جعل" المجتمع الأبوي مجتمع الرجال دون النساء ومجتمع الآباء دون الأبناء[2] " من جهة أخرى أن تتركز السلطة في المجتمع بيد الكبار سنا دون الصغار منهم، فإن ذلك يرتبط بالقيم والعادات والتقاليد، والتي على أساسها تمنح مراكز المسؤولية للأفراد في المجتمع، والتي تؤمن إلى حد كبير" بأهمية الخصائص الشخصية لصاحب السلطة .[3]"وخاصة منها الخبرة في الحياة، فتمتع كبار السن بمركز ريادي في المجتمع المحلي، نابع أساسا" مما تمثله السن المتقدمة من خبرة وحنكة ودراية بمختلف أمور الحياة[4] ."فالكبار يعرفون أكثر وهم بالتالي الأقدر على التصرف نتيجة لخبرتهم الطويلة، تلك الخبرة الطويلة التي تجعل" من نصائحهم وتوجيهاتهم تكون صائبة في معظم الأحوال.[5] هذا الاعتقاد بقيمة كبار السن وبالخبرة الطويلة التي يتمتعون بها في الحياة، غالبا ما أفرز في أغلب المجتمعات التقليدية خاصة، تراثا رمزيا غنيا يعبر عن هذه القيمة، تعكسه بعض الأمثال الشعبية مثل قولهم مثلا في الريف المصري" أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنة[6] . أو ما تردده كلمات مشابهة في التراث الشعبي الجزائري والشائعة بين العامة مثل قولهم" : "من فاتك بليلة فاتك بحيلة "وقولهم أيضا" :من غاب كبيره غاب تدبيره "و"أسأل مجرب ولا تسأل طبيب"،

---

1 Genet.L, Remond.R Op.Cit, PP: 658-659.

2 محمد صفوح الأخرس، علم الاجتماع العام أسسه، ميادينه، وموضوعاته، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، سوريا 1981، ص197 .

3 علي فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981 ، ص 44.

4 محمد علي قطان، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر، المديرية العامة للصحافة، جدة العربية السعودية، 1979، ص 57.

5 فاروق العادلي و سعد جمعة ، مرجع سابق، ص 286.

6 علي فؤاد أحمد ، مرجع سابق ، ص 78.

وغير ذلك من الأقوال المأثورة التي تعكس في عمومها مدى الأهمية التي تحظى بها هذه الفئة العمرية كبار السن في المجتمع.

**4. المراكز والأدوار الاجتماعية** Social statuses and roles:

يرتبط بالمراكز الاجتماعية الموروثة المنسوبة مجموعة محددة من الأدوار، يؤديها الأفراد داخل جماعاتهم المختلفة كجزء من التزامات شغل هذه الأوضاع إلى" مركب أو مجموعة من الاجتماعية، هذا ويشير لفظ الدور الاجتماعي Social role أنماط السلوك المتعارف عليها والمصاحبة لمركز محدد .[1]"أي حدا أدنى من نمط سلوكي متوقع ومطلوب من أي إنسان يشغل هذا المركز الاجتماعي أو ذاك داخل الجماعة .هذا وتتسم الأدوار الموروثة بأنها" تحددها العوامل البيولوجية أي ترتبط بالصفات الشخصية للفرد، وبأنها تحكم العاطفة، فضلا عن أنها تهتم بالتجانس والتماسك .[2]"حال الأدوار السائدة في الجماعات الأولية مثل الأسرة والجماعات القرابية عموما وجماعة الجيرة والرفاق والموطن الأصلي,هذه الأنماط من السلوك المنسوب توجهها مجموعة من القيم الاجتماعية في هذه الجماعة الاجتماعية أو تلك، هذا ويشير مفهوم القيم إلى" مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها .[3]"ذلك أن نسق الأدوار لا يوجد مستقلا عن نسق القيم والمعايير التي تحكمه، فهي أنماط سلوك متعارف عليها، هذه القيم تأتي لتربط الأدوار بالإطار التنظيمي العام للجماعة،" فبغير هذه القيم التي تكون الأدوار، تعجز عملية التفاعل عن الاستمرار والثبات ... فالقيم من العناصر الأساسية في تركيب الدور، ذلك أنها تحدد مجموعة الأدوار الاجتماعية السائدة في الجماعة وكيفية أداء السلوك المرتبط بها .[4]"وبالنسبة للقيم التي تدخل في تركيب

---

1 فاروق العادلي وسعد جمعة ، مرجع سابق، ص 283.

2 محمد سعيد فرح، البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998 ، ص 344.

3 علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق، ص 134.

4 محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص 327.

الأدوار الموروثة، فإنه في إطار الأسرة يتعلم الفرد وهو طفل أن هناك مجموعة من الطرق الخاصة بالسلوك ذات قيمة اجتماعية ينبغي اعتبارها بمثابة موجهات للسلوك المستحب .[1]"وهي مجموعة هامة في كل مجتمع، تسمى محور القيم لذلك المجتمع، وهذه يتقبلها الناس دون سؤال أو أدنى شك ذلك أنها تكون مدعومة بعواطف الناس الذين يتقبلونها ويتقيدون بها كما يتقبلون الأكل والشرب وكما يتنفسون الهواء[2]"، ذلك أن عملية التربية في هذه الجماعة وفي هذه المرحلة العمرية لا تكون واعية أو مخططة في الجانب الأكبر منها،" فالرضيع والطفل والشاب يتعلم قيم جماعته من خلال المشاركة في نسق الالتزامات المتبادلة بين الأقارب، وفي عمليات التنظيم الاقتصادي وفي الطقوس والمراسيم الدينية وجلسات قص الأساطير والحكايات الدينية وغيرها .[3]" فالإنسان في بداية حياته لا يمتلك أية قيمة، غير أنه يكتسب قيم جماعته ومجتمعه من خلال تفاعله مع أفراد أسرته الصغيرة والكبرى أولاً ثم من خلال تفاعله مع المحيطين به من جيرانه وأقاربه وزملاؤه وغيرهم، يتوحد بهذه القيم بطريقة آلية، دون وعي منه ، بشكل تصبح معه جزءا من شخصيته، توجه سلوكه وتحدد له توقعاته بالنسبة لسلوك الآخرين في مختلف المواقف الاجتماعية.

**خاتمة:**

يقوم النظام العائلي والقرابي المرتبط به على نسق من القيم الاجتماعية التي تحث الفرد على العمل دائما في خدمة عائلته طبعا وأيضا لصالح الفرقة أو العشيرة أو القبيلة و التضحية من أجلها، فعضويتة في الجماعة القرابية، توجب عليه جملة من الالتزامات والتي تفرض على أعضاء الجماعة القرابية دون غيرهم والتي تقضي أن يشيع التعاون الاقتصادي والتماسك الاجتماعي بين أفراد الجماعة القرابية الواحدة وأن تسود بينهم روح الجماعة .هذا النمط من

---

[1] فاروق إسماعيل، مرجع سابق، ص 211.

[2] أحمد أبو هلال، مقدمة إلى الأنثروبولوجيا التربوية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 2 ، عمان، الأردن، 1979 ، ص 180.

[3] رالف بيلز و هاري هويجر ، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ج2 ، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر 1977 ، ص 717.

التربية السائد خاصة في المجتمعات المحلية، غالبا ما يولد أفرادا يؤمنون ويقدرون كافة مظاهر النشاط التي تعلي من قيمة الجماعة على الفرد، ويؤكد على قوة أواصر القرابة وأسبقية القيم العشائرية والعائلية على سواها من القيم والاعتبارات، ومن كل هذه الخبرات يتعلم الأفراد تدريجيا كيفية أداء الأدوار التي تتناسب مع جنسهم وسنهم وموقعهم القرابي وأصولهم الجغرافية وغيرها من المراكز الموروثة، وما يرتبط بهذه الأنماط السلوكية من قيم ومعايير اجتماعية.

# المحور الثالث:

# الأنثروبولوجيا الثقافية

**مقدمة:**

**المحاضرة التاسعة: الثقافة: مفاهيمها-مصطلحاتها-خصائصها**

**المحاضرة العاشرة: الأنثروبولوجيا الثقافية: تعريفها- أهدافها-نشأتها**

**المحاضرة الحادية عشر: فروع الأنثروبولوجيا الثقافية**

**خاتمة:**

**مقدمة:**

تحتفظ الأنثروبولوجيا بتاريخ حيوي وعريق من العلاقة والارتباط بالثقافة، وتختلف هذه العلاقة وتتمايز عن جميع صور وأنماط علاقات العلوم الأخرى بالثقافة، بحيث لا يغني النظر إلى الثقافة بواسطة هذه العلوم على تعدد أقسامها وحقولها الاجتماعية والإنسانية، دون الكشف عن موقف الأنثروبولوجيا من الثقافة.

ومن شدة هذه العلاقة كادت الأنثروبولوجيا تتملك الثقافة، وتجعل منها امتيازاً لها، وتتحول إلى العلم الذي يتحدث باسمها وعنها وحولها، وذلك على خلفية أن الثقافة هي من مكتشفات الأنثروبولوجيا، أو أنها –أي الأنثروبولوجيا– هي التي عملت على اكتشافها بالعودة إلى العقل البدائي والمجتمعات البدائية، ومحاولة البحث عن جذور الثقافة وبداياتها وكيف تنشأ وتنمو وتتطور؟ وتجيب على سؤال لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟

وقد ترسخت هذه العلاقة بين الأنثروبولوجيا والثقافة مع تشكل وظهور ما عُرف بالأنثروبولوجيا الثقافية أحد أقدم أقسام الأنثروبولوجيا العامة، ومن أكثرها اهتماماً إلى جانب الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وبين هذين القسمين الثقافي والاجتماعي في الأنثروبولوجيا جدل ونزاع قديم في تحديد من هو الأصل، ومن هو الفرع، وما يترتب على ذلك من صياغة وتحديد هوية وشخصية علم الأنثروبولوجيا. فمن ينتمون إلى الأنثروبولوجيا الثقافية يعدون هذا الحقل هو الأصل، والأنثروبولوجيا هي الفرع، بينما يرى الذين ينتمون إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن حقلهم هو الأصل، والأنثروبولوجيا الثقافية هي الفرع.

## المحاضرة التاسعة:

## الثقافة: مفاهيمها-مصطلحاتها-خصائصها

### I. مفاهيم الثقافة:

يتفق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية على أن الثقافة هي موضوع علمهم، ولكنهم يختلفون في تعريفها، ولم يظهر هذا الاختلاف في العقود القليلة السابقة حيث في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق على الأخذ بالتعريف الشهير الذي وضعه "تايلور Taylor" في كتابه «الثقافة البدائية «الذي يقول فيه: «الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع»[1]. وقد تبنى الأنثروبولوجيون هذا التعريف لعقود عدة إلى أن جاء التعريف الذي توصل إليه كل من "كروبر "Kroeber و"كلاك هون"Kluckohn من تفحصهما لما يزيد عن مائة تعريف من التعريفات التي قدمها الأنثروبولوجيون للثقافة ولم يجدا من بينها تعريفا مقبولا، إذ وجه التقصير في الكثير منها يكمن في كون هذه التعريفات لا تميز بوضوح بين المفهوم والأشياء التي يشير إليها. ولعل من أبسط التعريفات للثقافة وأكثرها وضوحا تعريف "روبرت بيرستد" الذي ظهر في أوائل الستينات من القرن الماضي قائلا: "أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في المجتمع".[2] وهذا التعريف يبرز الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي والذي يتفق إلى حد كبير مع تعريف "تايلور". ومن ذلك حدد الأمريكيان "كلاك هون" و"كروبر" تعريفا للثقافة حيث يقول "كلاك هون": «... نقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية

[1] حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 394,

[2] فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2009، ص 37.

واللاعقلية، وهي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة». وقد لقي هذا التعريف قبولا لدى علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا حيث انطلق من هذا التعريف كل من "بيلز "Beals و"هويجر "Hoijer في تعريفهما للثقافة بأنها: «تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسيا ولكنها ليست هي ذلك السلوك»، ويقولان في كتاب صدر لهما عام 1953م «مدخل إلى الأنثروبولوجيا» أنه: «لا يستطيع الأنثروبولوجي أن يلاحظ الثقافة مباشرة» ويؤيد هذا التعريف عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية "راد كليف براون Radcliffe Brown" بقوله: «لا تعبر الثقافة عن أي شيء واقعي محسوس وإنما عن تجريد، وغالبا ما يستخدم كتجريد غامض» ومن ذلك يتضح أن هذه التعريفات تصب اتجاهين:[1]

- اتجاه واقعي يرى أن الثقافة هي كل يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة من البشر.
- اتجاه تجريدي يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة.

وقد ناقش الأنثروبولوجي "هوايت "White هذين الاتجاهين وانتهى إلى نظرية جديدة في تعريف الثقافة، القائلة بأن الثقافة هي الأمور المحسوسة التي تتمثل في الأشياء والأفعال والأفكار التي هي من صنع الإنسان، وعلى عالم الأنثروبولوجيا الثقافية أن يلاحظ تلك الأمور المحسوسة بصورة موضوعية وأن يطبق طرق البحث العلمي بغرض دراسة طبيعتها بدقة والوصول في النهاية إلى القوانين الخاضعة لها. وبهذه النظرية يتضح بأن "هوايت" يرفض الاتجاه التجريدي لكي يحافظ على استقلالية الأنثروبولوجيا عن علم النفس «في دراسة السلوك» ويأخذ بالاتجاه الواقعي .

[1] Thompson. M & Ellis. R & Wildavsty: A; Culture theory; Westview press; Boulder; San Francisco; p 24.

## II. مصطلحات الثقافة

تعدّدت مصطلحات الثقافة حسب الزمان الذي استعملت فيه والوظيفة التي كانت تؤديها الثقافة والمكانة التي كانت تحتلّها، نذكرها كالآتي:[1]

1. **البؤر الثقافية:** يمكن اعتبار الاهتمام الغالب لشعب معين بؤرة لثقافته فهي تبرز السمة الغالبة في ثقافة معينة مثلا السمة الغالبة في المجتمع الياباني التقليد السريع مع المحافظة على القيم المتوارثة لديه، بينما تتميز المجتمعات الأوربية بالأنانية (سيطرة القيم المادية على الشعور الانساني). أما العالم العربي فيغلب عليه طابع التدين وشدة المحافظة على القيم المتعلقة بالشرف والتقاليد المتوارثة. هذه الصفات والأمثلة لا تتصف بطابع الاطلاق بل مجرد سمة أو بؤرة مرتبطة بزمان معين ويحتمل التغير رأسا على عقب نتيجة عوامل مختلفة للتغير الثقافي داخل هذه المجتمعات.
2. **البيئة الثقافية** milieu culturel: هي من صنع وإبداع وإنتاج الإنسان عكس البيئة الطبيعية التي لم يتدخل الانسان في صنعها كالجبال والأودية ....
3. **البناء الثقافي** structure de la culture: وهو العلاقة بين العناصر الثقافية المختلفة مثل العنصر الثقافي والمركب الثقافي والمنطقة الثقافية والنمط الثقافي.
4. **الاتصال الثقافي** contact culturel: وهو يدل على حدوث التأثيرات المتبادلة بين ثقافتين مختلفتين فإما يكون اتصالا محدودا في صورة انتشار عناصر ثقافية جديدة مثل عملية تبادل لبعض العادات والتقاليد أو بعض الأشياء المادية كما يمكن أن يكون اتصالا ثقافيا شاملا بحيث يغطي معظم جوانب الحياة وهكذا تتأثر الثقافتين ببعضهما البعض ويحدث نوع من التداخل العميق بينهما الى درجة التغيير في البناء الثقافي للمجتمع فمثلا نجد التأثير الحالي للثقافة الأوربية على العالم العربي.

[1] فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، مرجع سابق، ص 49، بتصرف.

**5. انتشار المثير الثقافي:** يستعمل هذا المصطلح للدلالة على انتشار فكرة أو اختراع من ثقافة شعب معين الى ثقافات الشعوب الأخرى التي تتبنى المثير وتصوغه في شكل جديد متفرد.

**6. ارث ثقافي مشترك** héritage culturel collectif: يستعمل للدلالة على المواد الثقافية المختلفة التي ترجع الى الثقافة الأم الواحدة فمثلا رغم اختلاف اللهجات العربية من دولة لأخرى في النطق ومخارج الحروف إلا أنها ترجع كلها الى اللغة الأم وهي اللغة العربية الفصحى.

**7. التبني الثقافي** adoption culturel : يعني به قبول المواد الثقافية لشعب معين من طرف شعب آخر مثل تبني الشعب الفارسي والتركي والباكستاني للاسلام واللغة العربية والثقافة العربية.

**8. التخلف الثقافي** retard culturel: في حالة وجود عنصرين مترابطين من عناصر الثقافة يتغيران بسرعة متفاوتة بمعنى أن أحدهما يتغير بسرعة والآخر ببطء أو لا يتغير بالمرّة فيكون العنصر الثاني متخلفا عن الأول. نذكر أن العناصر الثقافية المادية أكثر قابلية للتطور السريع من العناصر الثقافية اللامادية.

**9. التشكيل الثقافي** configuration culturel: وهي عملية اكتساب الفرد للشخصية الاجتماعية وهي تعني الوسائل والكيفية التي يكتسب بها مثلا الطفل تدريجيا عادات وتقاليد وقواعد السلوك السائدة في المجتمع الذي ينشأ فيه.

**10. التغيّر الثقافي** changement culturel: يدل على حدوث عملية التطور في بعض العناصر الثقافية في مجتمع كالفن أو العلم...

**11. النشأة الثقافية:** وهي عملية تشكيل الإنسان عن طريق التعليم والتدريب حتى يصبح شخصا قابلا للتكيف مع البيئة الثقافية السائدة في المجتمع وتكون أحيانا كافية لاشعورية

حيث يتولى المجتمع تلقين فن وتقاليد وعادات وسلوكات المجتمع. فعملية التعليم والتدريب وسيلة من وسائل النشأة الثقافية الشعورية.

**12. التنوّع الثقافي** variation culturelle: وهو يدل على الاختلافات الثقافية الكبيرة في العادات والتقاليد والمعتقدات بين الشعوب المختلفة وأحيانا عبر مناطق مختلفة داخل الوطن الواحد والشعب الواحد.

**13. الثقافة الرسمية** culture officielle: يدل على المؤسسات الثقافية التي تمثلها السلطات فمثلا كل ما يتعلم في المدرسة يعد ثقافة رسمية.

**14. الثقافة الشعبية** culture populaire : يشير savenson الى أن الثقافة الشعبية تخضع للتراث خضوعا كبيرا وتتأثر به ولذلك دراسة الثقافة الشعبية يمكن أن تساهم في اطراء معلوماتنا عن العصور الماضية لتاريخ الثقافة الإنسانية وحسب العالم odum فإن الثقافة الشعبية تمثل جميع عمليات وانتاج وانجازات الشعب في جميع جوانب الحياة.

**15. الثقافة المادية** culture materiel: هي من صنع الإنسان لسد حاجياته عكسها المعنوية التي هي الأفكار والمعتقدات والفنون...

**16. رواسب ثقافية** survivance culturelle: يدل هذا المصطلح على ترسب مجموعة من العناصر الثقافية التي كانت سائدة في ثقافة زالت معالمها العامة. فمثلا العادات التي صارت لا معنى لها في الوقت الحاضر لابد أنها كانت في زمان بعيد ذات هدف عملي.

**17. التثاقف:** يرتبط بمصطلح الثقافة، مصطلح: اكتساب الثقافة أو **التثاقف** (بالإنجليزية: Acculturation)، ويعني أنه عند انتقال أعضاء الجماعة من جماعتهم للعيش في جماعة أو مجتمع آخر، فإنهم يواجهون عملية تغير ثقافي (بالإنجليزية: Change Cultural)، لأنهم يواجهون ثقافة تختلف عن ثقافتهم.

تأتي كلمة التثاقف في السياق الثقافي عندما ينتقل أعضاء الجماعات من موطنهم الأصلي إلى مجتمع آخر فإنهم يواجهون عملية تغير ثقافي نتيجة الاحتكاك والاتصال المباشر

مع ثقافة مغايرة وجديدة فيكتسبون ثقافة المجتمع الجديد، فتسمى العملية بالتثاقف أو اكتساب الثقافة، وهي عملية دينامية مستمرة قد تتم بوعي أو بدون وعي الأفراد بها فنجدهم يكتسبون أنماط سلوكية مغايرة للأنماط السلوكية الخاصة بجماعتهم وقد يشعرون بذلك عند عودتهم إلى جماعتهم الأصلية. وهذا التعريف يحدد إحدى خصائص الثقافة كونها مكتسبة وليست موروثة.[1]

تاريخيا، اقترحت هذه الكلمة سنة 1880 من قبل الأنثروبولوجيين الأمريكيين واتخذت عدة تفاسير ومفاهيم من طرف جميع الاختصاصات. فالسيكولوجيا الاجتماعية ترى "أنها تمثل عملية التعلم التي يتلقاها الطفل من الثقافة الإثنية التي حوله أو من الوسط الذي هو فيه في حين يرى "روجي باستيد (Roger Bastide)"أن هذا التعريف يطلق بدرجة أصح على التنشئة الثقافية (Enculturation) أو الاجتماعية (Socialisation).[3]

18. **المثاقفة:** عندما نتحدث عن المثاقفة، تحيلنا الكلمة دائما إلى عدة اتجاهات مختلفة؛ أنها أداة اتصال وأداة للتداخل العلاقاتي والتبادل المعرفي وتشير إلى المفهوم الشامل لكلمة الثقافة أي "معرفة الأشكال والمعايير الحياتية التي يمتاز بها الآخرون؛ أشخاص أو مجموعات أو مجتمعات في علاقتهم مع الآخر ومعرفة العلاقات المشتركة بين ثقافة ما وثقافة أخرى،[4] وهي ما يولد ويتأسس من خلال احتكاك بين مجموعتين أو أكثر؛ أي "أنها تشير إلى ثقافة في حالة ولادة،[5] وإن كان التثاقف يحمل في طياته الرغبة في محو الآخر وفرض التبعية عليه، ومعاملته بنظرة فوقية، فإن المثاقفة تقوم على الاحترام والتسامح والاعتراف بخصوصية الآخر واختلافه، وفي إطارها تتفاعل الجماعات والشعوب وتتواصل فيما بينها.

1 فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، مرجع سابق، ص 50.

2

3

4 .

5 .

## III. خصائص الثقافة:

مهما كانت هناك من جونب اختلاف بين الثقافات الإنسانية، إلا أن ثمة مظاهر عامة ومشتركة تتمثل في الخصائص العامة التي تميز الثقافة كموضوع علمي قابل للدراسة والتحليل، وتتمثل هذه الخصائص في:

1. **الثقافة مكتسبة:** أي أنها لا تتكون من غريزة فطرية ولا تتناقل بيولوجيا عن طريق الوراثة، بل يكتسبها الفرد من مجتمعه عن طريق الخبرة الشخصية، وبالتالي فإن الإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعش فيه منذ الصغر ولا تؤثر العوامل السلالية والفسيولوجية في عملية التنشئة الثقافية.

2. **الثقافة اجتماعية:** أي أنها موضع مشاركة من جانب أفراد المجتمع الواحد وتصبح ملزمة من خلال الضغوط الاجتماعية «الإحساس بتماسك الجماعة، وسائل الضبط الاجتماعي، تنظيم مسؤول عن الدفاع ضد القوى المعادية». وكون الثقافة اجتماعية، هذا يعني ارتباط مصيرها بمصير المجتمع الذي يتبناها.

3. **الثقافة إنسانية:** إن الإنسان وحده دون سائر المخلوقات يختص بالثقافة، لأن الثقافة هي أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه وبغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها.

4. **الثقافة أفكار وأعمال:** فكل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه فكرة واردة التنفيذ، ولذلك لا تخرج العناصر المادية للثقافة عن كونها أفكار مجسدة في أعمال، كما أن هناك نظم ثقافية تحدد العلاقة بين الإنسان وعالم الأفكار المجردة، ومن أمثلة هذه النظم اللغة والدين والفن والقيم، وكون هذه النظم ذات طابع فكري تجريدي إلا أنها لا تخلوا من الأعمال.

5. **الثقافة كل ونسيج متداخل:** تتكون الثقافة من عناصر وقطاعات متداخلة مما يجعل الأنثروبولوجي يفضل دراسة ثقافة مجتمع لا ينتمي إليه، وذلك لصعوبة تحقيق النظرة الكلية الموضوعية اللازمة لدراسة الثقافة إذا كان يدرس ثقافته. حيث يقوم الأنثروبولوجي

بدراسة وصفية للعناصر والنظم الثقافية الخاصة بالمجتمع المدروس، ثم يحلل تداخل تلك العناصر والنظم ليتمكن من تحديد البنيان المتكامل لثقافة ذلك المجتمع، فمثلا في القرى العربية نجد أن الدين يتداخل ونظم العلاقات العائلية، وكذا في نظم الأكل والملبس والميراث وحتى النظام الاقتصادي.

6. **الثقافة توافقية:** تتميز الثقافة بتغيرها حيث تتغير لكي تتوافق مع البيئة الجغرافية، والبيئة الاجتماعية والسيكولوجية، فكلما تغيرت ظروف الحياة عجزت الأشكال التقليدية عن توفير القدر اللازم من الإشباع، وكلما ظهرت حاجات جديدة استحدثت توافقات ثقافية جديدة لإشباعها.[1]

7. **التكامل الثقافي:** حيث عناصر كل ثقافة تميل إلى تشكيل كل متكامل ومتناسق، لكن التكامل الواقعي الخالص مسألة لا يمكن أن تتحقق لأن الأحداث التاريخية تحدث باستمرار تأثيرا مخلا إلى درجة ما، فالتكامل يحتاج إلى وقت. فحتى الآن مازالت التغيرات طارئة على عادات العمل والترفيه والدين نتيجة لاستخدام السياسات الخاصة غير المكتملة، وحتى إذا اكتملت أية ثقافة بمختلف جوانبها فالارتباط بينها وبين ثقافة أخرى مختلفة عنها يجعلها غير متكاملة، وعموما فالثقافة كلّ مركب في عناصرة المادية أو المعنوية. [2]

## IV. مستويات الثقافة:

يميز الأنثروبولوجي في دراسته ثقافات المجتمع بين مستويين من الثقافة: المستوى البدائي البسيط، والمستوى المتمدن المعقد. واليوم يعيش معظم الجنس البشري في المستوى الثقافي المتمدن، ولا يزال يوجد عدد قليل من البشر يعيشون في مستوى ثقافي بدائي في إفريقيا وآسيا وأستراليا. كما أنه توجد اختلافات فرعية في كل مستوى، فمثلا توجد مجتمعات متقدمة وأخرى نامية وثالثة مختلفة في المستوى المتمدن.

---

[1] فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، مرجع سابق، ص 76، بتصرف.

[2] فاروق اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص ص 99-112.

تشكلت هذه المستويات بشكل تدريجي عبر المراحل التاريخية التي مر بها وجود الإنسان نفسه، حيث جاء جنس الإنسان الذي ينتمي إلى جميع البشر الحاليين إلى العالم منذ (35000) خمسة وثلاثون ألف سنة وبدأ يصنع ثقافته البسيطة على مر السنين، وكان همه الأول التكيف مع البيئة عن طريق توفير حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس، وعاش فترة وهو يعتمد في قوته ووجوده على جمع والتقاط الطعام ثم عرف الصيد، وعاش آلاف السنين معتمدا في حياته على الصيد وجمع الثمار إلى أن اكتشف الرعي والزراعة منذ ثمانية آلاف سنة فقط، بمعنى أن أجدادنا المباشرين عاشوا ما يقرب عن (37000) سبعة وثلاثون ألف سنة دون زراعة ودون رعي، يعيشون في كفاح مرير مع الطبيعة لتوفير قوتهم وصنع أسلحتهم وبناء مساكنهم. وتغير الحال بعد اكتشاف الزراعة بالذات إذ توفرت له الإمكانيات لبناء المدن، وهنا ظهر مستوى ثقافي جديد يعرف باسم "المدنية"Civilisation .

## محاضرة العاشرة:

## الأنثروبولوجيا الثقافية – تعريفها – أهدافها – نشأتها

I. **تعريفها:** تعرّف الأنثروبولوجيا الثقافية –بوجه عام – بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معيّنة. وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلّى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدّث بلغة قومه .

ولذلك، فإنّ الأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتمّ بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.[1]

### II. أهداف الأنثروبولوجيا الثقافية:

تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها. كما تهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسّر بالتالي المراحل التطوّرية لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن .

ومن هذا المنطلق تهتمّ الأنثروبولوجيا الثقافية بالتراث والحياة داخل نطاق المجتمع، ويمكن بوساطتها الخوض في جوهر الثقافات المختلفة، ومعرفة كيف تحيا الأمم، من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

ما هي سبل العيش المتّبع لديهم؟ ما هي الطرائق التي يتبعونها في تربية أبنائهم ؟ كيف يعبّرون عن أنفسهم؟ ما هي طريقتهم في أداء عباداتهم؟ ما هي العلوم والآداب والفنون السائدة عندهم؟ وكيف ينقلون تراثهم إلى أجيالهم الجديدة من بعدهم؟ وغير ذلك من العادات والقيم وأساليب التعامل فيما بينهم .

---

[1] رالف بيلز و هاري هويجرا ، مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة ، 1977، ص 21.

## III. نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطوّرها :

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وربّما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي "إدوارد تايلور" الذي يعدّ من روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه " الثقافة البدائية " ، وفي هذا الكتاب يعرف تايلور الثقافة في أول فقرة منه بقوله: "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع".

لقد ساهم إدوارد تايلور في تدعيم العلاقة بين الثقافة والأنثروبولوجيا، بحيث أصبح من غير الممكن النظر إلى الثقافة دون العودة إلى الأنثروبولوجيا التي قدمت أجود تعريف للثقافة، وهو التعريف الذي اشتهر به تايلور في عصره وما بعد عصره، وحقق به إنجازاً معرفياً استفادت منه الأنثروبولوجيا في تعزيز مكانتها بين العلوم الاجتماعية الأخرى.

وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر.[1]

**مرحلة البداية :** وتمتدّ من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطوّر الثقافة منذ القدم، والبحث أيضاً عن نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه الفترة إلى جانب العالم الإنكليزي " تايلور"، العالم الأمريكي"بواز" الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين:

**أولهما:** إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر، ومراحل تطوّرها .

---

[1] BARNOUW . V. Cultural Anthropology , Home wood Illinois, Irwen Inc .; 1972, p.7.

**ثانيهما:** أجراء مقارنة بين تاريخ التطوّر الثقافي، عند مجموعة من القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادىء، تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطوّرها. وهذا ما يعطي أهميّة للأنثروبولوجيا باعتبارها علماً له منهجيّته الخاصّة .

**المرحلة الثانية أو المرحلة التكوينية:** وتقع ما بين (1900- 1915 م)، حيث تركّزت الجهود في الأبحاث والدراسات، على مجتمعات صغيرة محدّدة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطوّرها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض.

واستناداً إلى ذلك، جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصّل الباحث الأمريكي "وسلر" إلى أسلوب يمكن بوساطته من دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة، أو ما أصطلح على تسميته بـ (المنطقة الثقافية ). وقد شبّه "وسلر" المنطقة الثقافية بدائرة، تتركّز معظم العناصر الثقافية في مركزها، وتقلّ هذه العناصر كلّما ابتعدت عن المركز.

**المرحلة الثالثة أو فترة الازدهار:** وتقع ما بين (1915- 1930 م) ، حيث تميّزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثربولوجيا الثقافية، ولا سيّما تلك الدراسات التي تركّزت في أمريكا .

ويرجع ازدهار الأنثربولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه. وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنكلترا، ولا سيّما بعد الأخذ بمفهوم (المنطقة الثقافية) الذي طرحه "وسلر" كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصّل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

**المرحلة الرابعة أطلق عليها الفترة التوسّعية:** ومدّتها عشر سنوات فقط، وتقع ما بين (1930- 1940 م .(وعلى الرغم من قصر مدّتها، فقد ، حيث تميّزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجية العامة، وخصّصت لها فروع ومقرّرات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبنّاها "سابير" عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معيّن، حيث أنّ جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلاّ تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة .

وقد تأثّرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة– إلى حدّ بعيد– بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيّما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كلّ من "مالينوفسكي وبراون" في مجالات الأنثربولوجيا الاجتماعية .

**المرحلة الخامسة وهي الفترة المعاصرة:** التي بدأت منذ عام 1940، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسّع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية، خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

وترافق ذلك مع ظهور اتّجاهات جديدة في الدراسات الأنثربولوجية، كان الاتّجاه القومي في مقدّمة هذه الاتّجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القوميّة. وقد أخذت بهذا الاتّجاه الباحثة الأمريكية "روث بيندكيت" التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية .

ويسمّى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة : " الانطوائية القومية " والتي تعني: أنّ الانسان يفضّل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها. تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتّفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة بأساطيرها وقصصها وأمثلتها وعاداتها..، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا .

## المحاضرة الحادية عشر:
## فروع الأنثروبولوجيا الثقافية

على الرغم من تعدّد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسيّة، هي : (علم الآثار – علم اللغويات – وعلم الثقافات المقارن) وفيما يلي شرح لكلّ منها :

### I. علم اللغويات :

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحيّة المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية. . ويهتمّ دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

إنّ اللغة من الصفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيّة الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متّفق عليها، ويمكن تعلّمها .. علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي / الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث.

يحتلّ علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي إليها ؛ فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى، بل العلم الذي قدّم إنجازات عظيمة، وتوصّل إلى صياغة منهج وضعي ومعرفة الوقائع الخاصة. ولذلك، ارتبط علماء النفس والاجتماع والأثنوغرافيا بالحرص على تعلّم الطريق المؤدّية إلى المعرفة الوضعية للوقائع الاجتماعية، من علم اللغة الحديث .

يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان. ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلّق بالمقوّمات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني. ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة.

وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية، يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الادراكات والنماذج الفكرية المختلفة، في عدد وافر من الحضارات .ويدخل في ذلك، دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى )علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروقات الاجتماعية.[1]

إنّ التشابه المنهجي الشديد بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من جهة، وعلم اللغة من جهة أخرى، يفترض واجباً خاصاً من التعاون فيما بينها، حيث يستطيع علم اللغة أن يقدّم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة، من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة، من قبل عالم الأنثربولوجيا أو عالم الاجتماع، وبذلك يلتقي علماء الأنثروبولوجيا، بهدف مقارنة الفروع التي ينتجها هذان العلمان. ويقترب اللغويون من علماء الأنثروبولوجيا، آملين في جعل دراساتهم أكثر واقعية، وفي المقابل، يلتمس الأنثروبولوجيون اللغويين كلّما توسّموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقتهم فيه على ما يبدو، أُلفتهم الزائدة مع الظاهرات المادية والتجريبية.[2]

ولذلك، يلاحظ أنّ فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى .فدراسة اللغات يمكن أن تجري دون اهتمام كبير بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة .ومما لا

---

11 KOTTAK Conrad phillip; Anthropology; The exploration of human diversity; Mc Graw Hill N.Y. 2002. P 10.

2 كلود ليفي ستروس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة : مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق، 1977، ص ص 49 – 92.

شك فيه، أنّ اللغات – بما فيها من تراكيب معقّدة وغريبة، وما تنطوي عليه من تنوّع هائل، ولا سيّما عند الشعوب البدائية، تزوّد الباحث بمادة دراسية غنيّة لا يمكن حصرها.[1]

ولذلك، يعطي "ليفي ستروس" أهميّة بالغة لِلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى. ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكّده في كتابه (المناطق المدارية الحزينة) والذي يعرف في العالم العربي باسم (الآفاق الحزينة) وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، حيث يقول : " حين نقول الإنسان .. فإنّنا نعني اللغة. وحين نقول اللغة ... فإنّنا نقصد المجتمع .."

وهذا ما دفعه إلى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكلّ مادة غير لغوية. كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهميّة أكثر ممّا يعطي للمعنى (المدلول )، ولا سيّما أنّ الدال الواحد )الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعاً لاختلاف تجاربهما. بل أنّ الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة.[2]

وعلى الرغم من أنّ علماء اللغة لم يتمكّنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصّلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في ثلاثة أقسام هي :

– اللغات المنعزلة : وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلاّ تلك الفئات المتحدّثة بها. وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.

[1] رالف لينتون، ، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، مرجع سابق، ص 20.

[2] أحمد أبو زيد ، مرجع سابق، 2001، ص 86.

– اللغات الملتصقة : وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنّها ملتصقة بهم وبتراثهم. وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنّما تعتمد على المقاطع والكلمات، مثل : اللغة الصينيّة .

– اللغات ذات القواعد (النحو والصرف) : وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضّرة، لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل : اللغة العربية، واللغات الأوربية.[1]

ومهما يكن هذا التقسيم، فإنّ اللغات المستعملة في العالم، جميعها، شُكّلت من أصوات متناسقة تدلّ على هذه اللغة أو تلك، وفق أصول وقواعد خاصة بها .ولهذا يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعيّة، من أهمّها : علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات .

**1. علم اللغات الوصفي:** يهتمّ بتحليل اللغات في زمن محدّد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد عالم اللغات في دراساته هنا على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى الأفراد، ولا سيّما إذا كانت الدراسة متعلّقة بلغات لم تكتب. فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها .

ومهما يكن الأمر، فإنّ عملية تحليل اللغات وتصنيفها، كعملية تحليل الأجناس البشرية وتصنيفها، لا تشكّل إلاّ الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهمّة .فاللغات، على اختلاف أنواعها، تمثّل أداة قيّمة في يد العالم .. ولا شكّ في أنّها ستساعده في النهاية، على التوصّل إلى فهم أعمق لسيكولوجية الأفراد والمجتمعات.[2]

وتتركّز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي تستخدم اللغة الكلامية، ولم تعرف القراءة والكتابة. فلا يوجد مجتمع إنساني – مهما تخلّفت ثقافته – من دون لغة كلامية يتفاهم بها أبناؤه .

---

[1] ابراهيم زرقانة ، الأنثروبولوجيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1958، ص 148.

[2] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 20.

**2. علم أصول اللغات:** يهدف إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية. ولذلك، يختصّ بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخيّة بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق مكتوبة. وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدلّ عليها. ولكن ثمّة وسائل خاصة يمكن للباحث أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك اللغات.

وهناك علاقات تعاونية بين عالم اللغة، والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأنهّ على كلّ من الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي، أن يدرس لغة المجتمع الذي يجري بحثه عليه.

وبناء على ذلك، تقدّم علم اللغويات – في العصر الحاضر – وأصبح يستخدم مناهج علمية وآليات دقيقة، في دراسة لغات العالم .. واستطاع من خلال ذلك أن يتوصّل إلى قوانين أساسية وعامة، لا تقلُّ أهميّة في دقّتها عن قوانين العلوم الطبيعية.[1]

ومن المحتم أن تثير (مورفولوجية) أية لغة، أسئلة بعيدة المدى تتّصل بميداني الفيزياء والقيم .. فاللغة ليست مجرّد أداة للاتّصال أو لاستثارة الانفعالات فحسب، وإنّما هي أيضاً وسيلة لتصنيف الخبرات. والخبرة هي أشبه ما تكون بخطّ متّصل الأجزاء، يمكن تقسيمه بطرق مختلفة .[2]

ولذلك، فإن الدراسات اللغوية المقارنة، توضح أنّ الكائن البشري على الرغم من استخدامه لغة واحدة، فهو يقوم بعملية انتقائية غير واعية للمعاني التي يستخدمها. وذلك لأنّه لا يستطيع الاستجابة الدقيقة للمنبّهات المتنوّعة في محيطه الخارجي .

[1] عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.، 1971، ص 31-32.

[2] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 182.

## II. علم الآثار القديمة أو الحفريات (Archeology ):

يعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمّة وثائق مدوّنة (مكتوبة) عنها .

ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة. ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربّما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى. ومثال ذلك، أنّ اسم )توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة. [1]

وعلى الرغم من أنّ الهدف الأوّل من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلاّ أنّ الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات (وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات .

ومن المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا، أنّ الكتابة ظهرت منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وما كتب من ذلك التاريخ معروف لدى الدارسين والباحثين، ويمكن بواسطة هذه الآثار المكتوبة معرفة الكثير عن الإنسان[2] .

فعالم الآثار يعتمد في دراسته، على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها. وقد توصّل علماء الآثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقّع وجود بقايا حضارية فيها. كما توصّلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل التعرّف إليها، ومن ثمّ مقارنتها بعضها مع بعض. ويستطيع

---

[1] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 22.

[2] ابراهيم ناصر ، الأنثروبولوجيا الثقافية – علم الإنسان الثقافي، عمّان، 1985، ص 62.

علماء الآثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّراتها، وعلاقة كلّ منها بغيرها.

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا بقايا المواد كمعطيات رئيسة لاستخدام المعرفة العلمية والنظرية، حيث يقوم علماء الآثار بتحليل النماذج الحضارية والتطوّرات التي طرأت عليها، فتكشف النفايات عن الأوضاع الخاصة بالاستهلاك والنشاطات.

فالحبوب البرية والحبوب المنزلية / مثلاً : تمتلك خصائص مختلفة تسمح لعلماء الآثار أن يميّزوا بين النبات الذي تمّ جلبه، وذلك الذي تمّت العناية به محلياً. كما يكشف فحص عظام الحيوانات، عن أعمار هذه الحيوانات التي تمّ ذبحها، ويزوّد بمعلومات أخرى مفيدة، تحدّد فيما إذا كانت هذه الأنواع بريّة أو مدجّنة. ويقوم علماء الآثار من خلال بحثهم في هذه المعلومات، بإعادة بناء نماذج الإنتاج والتجارة والاستهلاك.[1]

ومع أنّ الهدف القريب الواضح للأبحاث (الأركيولوجية )، هو استكمال معارفنا ومعلوماتنا عن ماضي الإنسان، فإنّ الهدف النهائي هو مساعدتنا في تفهّم العمليات المتّصلة، بنمو الحضارات وازدهارها وانهيارها، وإدراك العوامل المسؤولة عن هذه الظاهرات التاريخية. وقد أصبحت نتائج الدراسات (الأركيولوجية) المتّصلة بعمليات التطوّر، مألوفة لدى العلماء الأنثروبولوجيين جميعهم، والذين يعنون بدراسة ظاهرات التغيير الثقافي[2] .

ولذلك، يلجأ علماء الآثار – الأنثربولوجيون – إلى الاستفادة من أبحاث علماء الجيولوجيا والمناخ، للتحقّق من (هوية) البقايا التي يكتشفونها، وتاريخ وجودها. كما يتعاون علماء الآثار أيضاً، مع المتخصّصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية، وذلك لكثرة وجود( اللُقى) الإنسانية في الحفريات، مع البقايا الثقافية. وقد نجح علماء الآثار المحدثون، في استخدام (الكربون المشعّ (كوسيلة لتحديد عمر " البقايا " بدقّة. [3]

---

[1] KOTTAK Conrad phillip; Op. Cit, P 268.

[2] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص24.

[3] عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص 31.

ويمكن القول – بوجه عام – إنّ علماء الآثار القديمة، يحاولون اكتشاف ذلك الجزء من التاريخ الماضي الذي لا تتعرّض له السجلاّت المكتوبة. ويقبل عالم الآثار القديمة على ميدان اختصاصه بحماسة، لأنّ عمله يقترن بمجموعة من الدوافع والمثيرات المغرية، كالرغبة في إجراء أبحاث علمية شائقة، واحتمال العثور على كنوز ثمينة ...[1]

فعلم الآثار إذاً، يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيّرات ثقافية، في محاولة لبناء تصوّر كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ. وإذا كان علم الآثار يعتمد – إلى حدّ ما على التاريخ – فإنّه يختلف عن علم التاريخ في أنّه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرّخة، وإنّما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ.

### III. علم الثقافات المقارن (الإثنولوجيا): Ethnology

تعتبر الإثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب. ولذلك، تعدّ الإثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، يختصّ بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان. وترجع لفظة (إثنولوجيا) إلى الأصل اليوناني (إثنوس) Ethnos وتعني دراسة الشعوب. ولذلك تدرس الإثنولوجيا ، خصائص الشعوب اللغوية و الثقافية والسلالية. [2]

وتعتمد الإثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب – في الماضي والحاضر – على أنّه نتيجة لتحرّك هذه الشعوب واختلاطها، وانتشار الثقافات التي ترجع إلى كثرة الحوادث المعقّدة، التي بدأت مع ظهور الإنسان منذ مليون (ملايين) من السنين. فهي تبحث، مسألة المصادر التاريخية للشعوب، من أين أتت قبائل الهنود الحمر؟مثلاً، وأي طريق سلكت؟ ومتى احتلّت

[1] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 23.

[2] اسماعيل محمد قباري ، الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف بالاسكندرية ، 1973، ص 460.

هذه الشعوب المناطق الموجودة فيها الآن، وكيف؟ ومن أية جهة تسلّلت إلى أمريكا؟ وكيف انتشرت فيها؟ ومتى ظهرت أجناس الهنود الحمر؟ وما هي الميزات اللغوية والملامح الثقافية التي نشرتها ثقافة الهنود الحمر، قبل احتكاكها بالثقافة الأوروبية؟ وغير ذلك ممّا يفيد في الدراسات الوصفيّة المقارنة للمجتمعات الإنسانية وثقافاتها. [1]

وتدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكلّ منها، دراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة. أي أنّه العلم الذي يبحث في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما يبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثّرها بتلك الأصول القديمة.

ولذلك، تعرّف الأثنولوجيا بأنّها : دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّرها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً .[2]

وتهتمّ النظرية الأثنولوجية بدراسة الثقافة، عن طريق القوانين المقارنة، ولا سيّما مقارنة قوانين الشعوب البدائية، حيث يهتمّ علماء القانون المقارن بدراسة بعض العادات والنظم والقيم والتقاليد، مثل : النسب الأبوي أو الأمومي، سلطة الأب، الحياة الإباحية، الاختلاط الجنسي، وطرائق الزواج المختلفة. [3]

ويبحث علم الأثنولوجيا في طرائق حياة المجتمعات التي لا تزال موجودة في عصرنا الحاضر، أو المجتمعات التي يعود تاريخ انقراضها إلى عهد قريب، وتتوافر لدينا عنه سجلاّت تكاد تكون كاملة. فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، وهي التي يطلق عليها العلماء

[1] رشوان حسين عبد الحميد، الأنثروبولوجيا في المجال النظري، الاسكندرية، 1988، ص 81.

[2] كلايد كلوكهون ،مرجع سابق، ص 31.

[3] حمدان محمد زياد، الثقافات الاجتماعية المعاصرة، دار التربية الحديثة، عمّان ، 1989، ص 103.

الأنثروبولوجيون مصطلح " الثقافة ." ويعدّ مفهوم الثقافة من أهمّ الأدوات التي يتعامل معها الباحث الإثنولوجي. [1]

ومن ميزات الإثنولوجيا ، أنّها تعتمد عمليتي التحليل والمقارنة ، فتكون عملية التحليل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر. وتدرس الإثنولوجيا الثقافات الحيّة (المعاصرة) والتي يمكن التعرّف إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة (البائدة (بواسطة مخلّفاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدوّنة. وتهتمّ إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيير الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطوّرها .[2]

وقد كان هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية، يلقى اهتماما قليلاً قياساً للفروع الأنثروبولوجية الأخرى، حيث قام بعض علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، بدراسة الطرائق التي تؤثّر من خلالها المفاهيم الاجتماعية المحدودة في سلوك الأشخاص وأمزجتهم، ومعرفة الحياة الإنسانية للشعوب التي ما زالت تحيا حياة بسيطة، ولا سيّما تلك الشعوب التي تعيش في : أستراليا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، وفي بعض المناطق في آسيا .

وكان علماء الإثنولوجيا، وإلى عهد قريب جدّاً، يقصرون أبحاثهم في الظواهر الاجتماعية والإنسانية للمجتمعات الثقافية. وكانوا يعتبرون الفرد كما لو أنّه مجرّد ناقل للثقافة، أو حلقة من سلسلة من الوحدات المتماثلة التي يمكن أن تستبدل الواحدة منها بأخرى. ولكن، وبعد دراسات عديدة، تبيّن لهؤلاء العلماء أن المعايير الشخصيّة، تختلف باختلاف الأفراد والمجتمعات والثقافات. [3]

فمنذ البدايات الأولى لتطوّر الأبحاث الإثنولوجية، والعلماء يحاولون اكتشاف الأسباب التي تجعل مجتمعات معيّنة، تطوّر محاور اهتمام خاصة بها، وتتقبّل أو تنبذ تجديدات مختلفة من النوع الذي يبدو أنّه لا ينطوي على أيّة عوامل نفعية، وكذلك الأسباب التي تجعل الثقافات

---

[1] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 25.

[2] عاطف وصفي ، الثقافة والشخصية، دار المعارف، مصر، 1977، ص 30.

[3] ابراهيم ناصر ، مرجع سابق، ص 66.

المتنوّعة تعكس – بصورة منتظمة – اتّجاهات مختلفة في تطوّرها. وساد الاعتقاد حيناً من الزمن أنّ هذه الظاهرات يمكن عزوها إلى وقائع تاريخيّة عارضة، غير أنّ هذه النظرية هي ضرب من الافتراض الجدلي الذي لا يستند إلى أي برهان أو دليل. [1]

ويتّفق معظم العلماء على أنّ مصطلح (إثنوجرافيا) يطلق على الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معيّن، بينما يطلق مصطلح (إثنولوجيا) على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة. فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة، كما يهدف الإثنولوجي أيضاً إلى تصنيف الثقافات ضمن مجموعات أو أشكال، على أساس معايير معيّنة. [2]

وهذا يعني أنّ الأهداف النهائية للعالِم الإثنولوجي، هي في الأساس، مماثلة لأهداف عالِم الاجتماع وعالِم الاقتصاد .. فكلّ عالم من هؤلاء، يحاول أن يفهم كيف تعمل المجتمعات والثقافات؟ وكيف ولماذا تتغيّر الثقافات؟ كما يحاول أن يتوصّل إلى تعميمات معيّنة، أو " قوانين " بحسب المصطلح الدارج للمفهوم، لتساعده في التنبّؤ باتّجاه سير الأحداث، بقصد التحكّم به في النهاية. [3]

فإذا كان القول بأنّ الإثنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطوّرها ومقارنتها عبر التاريخ، فإنّ الإثنوجرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محدّدة المكان، وهكذا تكون الإثنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الإثنوجرافيا دراسة مقارنة في المكان.[4]

---

[1] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص 32.

[2] عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص25.

[3] رالف لينتون ، مرجع سابق، ص27.

[4] قباري محمد اسماعيل ، مرجع سابق، ص 26.

لقد تبلورت الإثنولوجيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وشكّلت ما يمكن الإشارة إليه بالأنثروبولوجيا المعاصرة. وساعد على هذا الاتجاه ودعمه، ازدياد عدد الأنثوبولوجيين في البلدان النامية، بعد إن كانت هذه المهنة وقفاً على الباحثين الغربيين. ولم تعد الإثنولوجيا تقصر مجال دراستها على المجتمعات الصغيرة الحجم، أو المحليّة ذات الثقافات غير الغربية، وإنّما اتجهت لتوسيع مجالها بحيث تشمل الثقافات والمجتمعات كلّها، وعلى اختلاف حجمها وموقعها. [1]

غير أنّ هذا التنوّع الذي اتصفت به الإثنولوجيا في القرن العشرين، أدّى إلى حدوث بعض التضارب في الدراسات، وهذا ما أفقدها الكثير من الاستقرار الأكاديمي، علاوة على تمسّكها بالنواحي المنهجيّة أكثر من توصّلها إلى نظريات علمية، الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات حول كيفيّة دراسة الثقافات الإنسانية وعلميّتها، وصلتها بقضايا الإنسان المعاصر

**خاتمة:**

يعد ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية خصب في المواضيع التي يتناولها ومتجدد نتيجة التغيرات التي تطرأ على المجتمعات في الميدان السياسي الاقتصادي والاجتماعي، وحتى هذا الميدان تفرّع عنه ميادين أخرى، مثال الأنثروبولوجيا كما استحدثت أنثروبولوجيا الاتصال الذي تعد فيه اللغة المستعملة من رموز، إشارات والإيماءات كإحدى محاور الدراسات الثقافية واللغوية، كما لا ننسى أهمية الدراسات الإثنولوجية والإثنوغرافية في دراسة ثقافات الشعوب وصفا وتحليلا ومقارنة.

[1] حسين فهيم ، مرجع سابق، ص 36.

# المحور الرابع:
# النظريات الأنثروبولوجية الكبرى

**المحاضرة الثانية عشر: النظرية التطوّرية**

**المحاضرة الثالثة عشر: النظرية الوظيفية**

**المحاضرة الرابعة عشر: النظرية الانتشارية**

**المحاضرة الخامسة عشر: النظرية البنيوية**

## المحاضرة الثانية عشر:

## النظرية التطوّرية Evolutionnisme

**تمهيد:** تعددت الاتجاهات النظرية في الأنثروبولوجيا والتي نظرت إلى مختلف جوانب الحياة الانسانية سواء كانت ثقافية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية، فنية، دينية، ولكل منها رؤيتها وموقعها ومنهجها وتفسيراتها لهذه الجوانب.

تدل هذه النظريات على فاعلية وحيوية البحوث الأنثروبولوجية ومتواصلة ومستمرة تتكيف مع المتغيرات ممّا ينتج عنها تنظيرات ومفاهيم متجدّدة. وأهم هذه النظريات نذكر: التطوّرية، الوظيفية، الانتشارية، والبنيوية.

1. **تعريف النظرية التطوّرية:** هي من أقدم وأول المدارس الأنثروبولوجية، وتعتبر هذه النظرية أن المجتمعات تنتقل عند تطورها من البسيطة البدائية إلى المعقدة المركبة كما تتطور الأجزاء العضوية في الكائن الحي عندما ينمو.

تقوم الفكرة الأساسية للمدرسة التطورية على أساس مفهوم التطور الثقافي حيث أن تاريخ البشر واحد على أساس وحدة الفكر الإنساني أما الفروقات الثقافية فهي وليدة ظروف تاريخية معينة، وعليه تكوّنت مجتمعات وقد وجدت وجودا متجانسا ومتواصلا مؤلفا من طبقات تطورية وأقساما متوازية يسير فيها التطور **عبر خط مستقيم ومتصاعد تشكل كل مرحلة أساساً لما بعدها حسب نظام لا يزاغ عنه والذي يرتكز على ثلاثة قواعد أساسية وهي: حتمية التطور وتصاعدية المسار وتعاقب المراحل.**

يتساءل التطوّريون متى وكيف كانت بداية تطوّر الجنس البشري؟ فيضعون إجابات يغلب عليها الطابع النظري.

2. **تاريخ نشأتها:** يرجع تاريخ نشأة الاتجاه التطوري إلى الفترة الممتدة ما بين 1859 و1900 (القرن 17 و18)، حيث اعتقد الفلاسفة أنذاك أن البشرية تتطور باتجاه التقدم الدائم وأن المجتمعات تنحوا إلى الانتقال من حالة البساطة النسبية في تنظيمها إلى حالة أكثر تعقيدا وتمايزا، كما ارتبطت هذه النظرة بعلم البيولوجيا عند شارل داروين في كتابه أصل الأنواع

بواسطة الاصطفاء الطبيعي" عام 1859 ولامارك الفرنسي في القرن 19.[1] والتي يمكن تلخيصها في العناصر الثلاثة التالية:[2]

- إن جميع أشكال الحياة تتغير وتنتج أشكالا جديدة باستمرار.
- بعض هذه الأشكال أكثر ملائمة مع الظروف البيئية من غيرها.

إن الأشكال الأكثر ملائمة للبقاء والحياة تبقى وتستمر، أما الأخرى فيقضى عليها.

وقد تميّزت هذه المرحلة بظهور مدرستين متداخلتين، هما : النشوئية والتطوريّة. ويعود تداخلهما إلى أنّ العالِم الأنثروبولوجي، أو العالم الاجتماعي عندما يقوم بتفسير عمليّة التطوّر في أي نظام اجتماعي، من الماضي إلى الحاضر، لا بدّ أن يعمد إلى تحديد نشأة هذا النظام، وذلك بالعودة إلى المجتمعات البدائية لدراستها واستخلاص صفاتها وعلاقاتها، باعتبارها تمثّل التاريخ المبكر للجنس البشري، مثال ذلك : (نشأة الأسرة وتطورها) من حيث الإباحية الجنسية، وتعدّد الزوجات وصولاً إلى وحدانية الزوجة. وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثمّ إلى الأب. وهذه العودة إلى الشعوب البدائية، لا تقتصر على الأنثروبولوجيا فحسب، بل تشمل سائر فروع المعرفة الخاصة بالعلوم الإنسانية .

وقد تأثّر رواد هذه المدرسة، وفي مقدّمتهم "إدوارد تايلور" بنظرية "شارل داروين" في تطوّر الحياة الطبيعيّة للكائنات البشرية، وتستند هذه النظرية إلى أنّ العناصر المركبّة في الحضارة الإنسانية، تتطوّر باستمرار من الأشياء البسيطة إلى الأشياء المعقّدة، وهذا ما ينسحب على تطوّر النظم الاجتماعية.

ويرتبط اسم "داروين" على الأقلّ في أذهان عامة المثقفين في العالم، بأنّه الرجل الذي نادى بنظرية التطوّر متحدّيا فكرة الخلق، متأثرا بعالم الطبيعة "جون لمارك" الذي وصف أشكال الحيوي–الفيزيولوجي وبيّن أن الوسط السائد يساهم في تغيّر الكائنات الحية وتحوّلها إذ تتبدل بنيتها الحيوانية عبر تكيفها مع الوسط المذكور.

وقد انتشرت هذه الأفكار قبل ظهور كتاب داروين عن " أصل الأنواع " بسبعين سنة على الأقلّ. وكان كلّ ما فعله "داروين"، هو أنّه قام بتجميع تلك الأفكار والآراء المبعثرة

---

1 Claude rivière, introduction à l'anthropologie, Ed hachette, p 29.

2 حسن شحاتة سعفان ، دراسات في علم الإنسان،دار النهضة العربية، القاهرة، 1973، ص 72.

والمتناثرة، وتحليلها بطريقة منهجية، فيها قدر كبير من محاولة الفهم والتعمّق. ومن هنا ساعد كتاب " أصل الأنواع " في توطيد فكرة التطوّر وترسيخها. ولكنّ الأهمّ من ذلك، هو أنّ الكتاب يقدّم نظرية متماسكة عن الطريقة التي حدث فيها التطوّر، ووضع في ذلك مبدأه الشهير عن " الانتخاب الطبيعي " الذي فسّر به استمرار بعض الأنواع في الحياة ، واختفاء بعضها الآخر في معركتها الكبرى وصراعها من اجل الحياة.

وعلى الرغم من أنّه مبدأ بيولوجي في الأصل، إلاّ أنّه كان مفيداً للأنثروبولوجيين. وفي ذلك يقول الأستاذ "ألفريد كروبر" وهو من أكبر علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين : " إنّ هناك نوعاً من عدم التناسب بين الإسهام المحدود الذي أسهم به داروين في العلم، والذي ينحصر في وضع مبدأ الانتخاب الطبيعي وتجسيده، وبين كلّ ذلك التأثير الهائل الذي تركه تأسيس المبدأ البيولوجي على العلم الكلّي ". فقد دفع هذا المبدأ علماء القرن التاسع عشر، إلى البحث عن أصول الأشياء. وظهرت بذلك كتابات كثيرة تتناول أصل اللغة وأصل الحضارة، وأصل المجتمع والعائلة والدين، وما إلى ذلك بالطريقة نفسها التي تناول بها داروين مشكلة أصل الأنواع.[1]

كان مضمون تحليل "داروين" يتمحور حول فكرة أن الخلائق بما فيها الإنسان تطورت من مستويات دنيا إلى مستويات عليا متخصصة. وينطبق ذلك تماماً على الحضارات الإنسانية فإنّها تطورت عبر مراحل عديدة حتى وصلت إلى مرحلتها الراهنة، وعلى ضوء ذلك فإنّ هناك حضارات دنيا أفرزتها المجتمعات البدائية وحضارات تمثل قمّة التقدم الحضاري والثقافي أفرزتها مجتمعات متطورة، ولعل الذي أبرز هذا التصور هو "أوغست كونت" في قانونه الاجتماعي (قانون الحالات الثلاث) الذي يرسم ثلاثة مراحل لتطور الحضارة هي المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية ومرحلة الوضعية (العلوم العقلية). أثار *سبنسر (المدرسة الانجليزية)* فكرة توحيد الأفكار الخاصة بالتطور الاجتماعي مع نظرية التطور العضوي البايولوجية، مبيناً أنّ قوانين العلوم الطبيعية تنطبق على العلوم الاجتماعية في تقدم وتطور المجتمعات (المماثلة بين جسم الكائن والمجتمع من حيث التطور أي الانتقال من البسيط الى المعقد كذلك المجتمعات من البدائية إلى المعقدة).

[1] أحمد أبو زيد ، الطريق إلى المعرفة، مرجع سابق، ص 23-24.

خلال القرن 18 قام الفيلسوف الفرنسي "مونتسيكو" بأول دراسة أنثروبولوجية في مؤلفه "روح القوانين" واعتمد المقارنة بين الشعوب حسب موقعها الجغرافي والمناجي آخذا بالاعتبار العادات والتقاليد الموروثة في المجتمعات كونها تتجدد وتتطوّر وتحدّد القوانين التي تخضع لها كما طرح نظرية تطورية للمجتمعات تتكون من ثلاثة مراحل هي مرحلة الصيد أو الوحشية ومرحلة الرعي أو الهمجية ثمّ مرحلة الحضارة، ولاقت هذه النظرية رواجاً بالقرن التاسع عشر من قبل المفكرين الأنثروبولوجيين أمثال "مورغان" و"تايلر" للفترة بين عام (1861-1877) الذين استنتجوا من دراساتهم أنّ التقدم البشري يتبلور من خلال الانتقال من المرحلة الحيوانية إلى البدائية ثمّ إلى البربرية ثمّ إلى التمدن، وهذا كان أسلوب مورغان وأنجلز في دراساتهم لتطور العائلة ونظام الزواج وروابط القرابة ونسب الأبناء الأموي وأبوي وملكية القبيلة للأبناء وظهور العشيرة التي ارتبط بنظام الزواج وملكية الثروة في نهايات المرحلة البربرية من عصر المشاعية البدائية[1]، وكيف أنّ شخصية الفرد تنصهر في شخصية الجماعة التي تمثل كل شيء بالنسبة له وتتشابه الأدوار بالأسرة وتعتمد على الجنس (ذكر وأنثى) والعمر (أطفال، شباب، كهول، شيوخ) والمركز في النظام العائلي (أب، أم، عم، خال، ابن، بنت) وتقوم عمليات الضبط الاجتماعي على أسس معيارية متفق عليها وكان الأنثروبولوجيون يفترضون إنّ مراحل تطور المجتمعات الإنسانية واحدة وبالتالي في حالة تعذر دراسة الأصول التاريخية لمجتمع ما فإنّه ممكن دراسة مجتمعات أخرى في مرحلة تطور أدنى وصولاً إلى جذور المجتمعات المعاصرة, لكن هذا الافتراض النظري ثبت عدم دقته مؤخراً لظهور دراسات أثبتت أنّ انساق تطور المجتمعات لا يتم بشكل واحد..

**3. مواضيعها:** ركّز العلماء التطوّريون، على موضوعات معيّنة : كأصل المجتمعات، الدين، العائلة والنسب، ، اللغة والحضارات، واعتبروا أنّ الحضارات البدائية المعاصرة، تمثّل شواهد دالّة على مراحل التطوّر الاجتماعي التي مرّت بها الحضارة الحالية المتقدّمة .

[1] بدر الدين السباعي، مشكلة المرأة – الحل التاريخي، دار الجماهير، دمشق 1985، ص ص65 ،67.

ولكن ثمّة صعوبات قابلتهم، في دراسة التطوّر في العصور القديمة جدّاً، ولا سيّما عصور ما قبل التاريخ، فعمدوا إلى دراسة علم الآثار أو التخمين والافتراض من أجل إثبات نظريتهم.[1]

## 4. أهم رواد التطورية:

نعرض باختصار أهم العلماء سواء كانوا فلاسفة أو علماء اجتماع أو الطبيعة الذين فصّلوا في الطرح التطوري حسب آراء كل واحد منهم، وهم كالآتي:

- "**باتيست لمارك**" أول واضع للتطورية كنظرية معتبرا أن التطور ميكانيكي أو الصفات تُكتسب من خلال التفاعل مع البيئة الجديدة وعملية التكيف معها، تأثر بأفكاره "**شارل داروين**" في كتابه "في أصل الأنواع" وفق القانون الطبيعي (الاصطفاء الطبيعي).
- **كولين فوستيل** الفرنسي بكتابه "المدينة القديمة" الصادر سنة 1864.
- **فريديريك انجلز وكارل ماركس** في ألمانيا بكتابهما "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" الصادر سنة 1884.
- "**جيمس فريزر**" بانجلترا بكتابه "الغصن الذهبي" الصادر سنة 1890، تناول فيه المعتقدات الدينية والسحر في المجتمعات القديمة.
- "**هاربرت سبنسر**" (1820-1903) الذي طرح فكرة تطور المادة عبر انتقالها من مرحلة متجانسة إلى مرحلة غير متجانسة، وبالتالي يتضح التطوّر عنده قائما على التمايز والتفاضل عند الكائنات الحية، كما يصح تطبيق هذا القانون على المجتمعات البشرية (قانون المماثلة بين الكاننات العضوية والمجتمعات البشرية في عملية التطور).

ينظر "سبنسر" إلى المجتمع بوصفه جهازا عضويا لثلاث أسباب:

- نموه المتواصل مثل ما ينمو جسم الإنسان,
- تقسيم العمل في المجتمع يشبه عمل الأعضاء داخل الجسم فكل عضو يؤدي وظيفة معينة.
- تكوين الجسم والمجتمع في البداية يكون بسيطا ثم يأخذ في التعقيد نتيجة تمايز الأجزاء وتكاملها.

[1] Nicholson , C Anthropology Development and Personality , 2 nd Ed , New York, Harper .1968, p.7.

ولكن أشهر الباحثين المتخصصين في الأنثروبولوجيا نذكر:

أ- **لويس هنري مورغان:** (الأمريكي 1818-1881) له كتاب "المجتمع القديم 1877" تمحورت أبحاثه حول المجتمعات القديمة وتطور نظام القرابة أو العائلة. افترض مورغان عددا من المراحل التطورية الاجتماعية، وربط كل مرحلة من تلك المراحل بنمط معين طبقا لمراحل التطور الثقافي، كما افترض أن جميع المجتمعات تخضع في تطورها لقانون الحاجات الإنسانية على الدرجة نفسها من التطور وذلك حين تكون العلاقات الاجتماعية على الدرجة نفسها من المساواة.

يرى مورغان أن الثقافة الإنسانية انتهجت في تطورها مسارا أحاديا أي وفق سلسلة متتابعة الحلقات (الدراسات التتبعية التي تتناول الظاهرة من أصلها وتقوم برصد تطورها عبر مراحل نموها) أي لابد لكل ثقافة من أن تمر عبر مراحل محددة من الحالات الدنيا إلى الحالات الراقية فالأكثر رقيا. وقسمها إلى ثلاث مراحل (التوحش – دنيا-وسطى-عليا، البربرية، التمدن). **فالمرحلة الوحشية** في نظر "مورغان" كان الإنسان خلالها يمتلك ما هو جاهز في الطبيعة، والتي قسمها إلى ثلات مراحل وهي:

- **الوحشية الدنيا:** يرى فيها "مورغان" طفولة البشرية حيث عاش الإنسان في مرحلة أشبه بالحيوان هائما على وجهه ملتقطا وجامعا للثمار البرية وجذور النباتات متغذيا عليها.
- الوحشية الوسطى: ما يميّز هذه المرحلة اكتشاف النار واستخدامها في طهو الطعام وإنارة الكهوف والتدفئة، نتج عن ذلك تغيّر النمط الغذائي للإنسان بتعرفه على أنواع جديدة من الأطعمة وخاصة اللحوم والأسماك.
- الوحشية العليا: صنع الإنسان أدوات الصيد كالقوس والسهم، وصار صائدا للحيوانات متغذيا على لحومها فبالتالي صار الإنسان منتجا لغذائه فتغير نمطه الاقتصادي (التحوّل من ملتقط للغذاء إلى منتج له).

ثم **المرحلة البربرية** (تربية المواشي، الزراعة) بمميزاتها التالية:

- البربرية الدنيا: بدأ الإنسان يبدع فصنع الفخار انتشاره في المساحات الواسعة وخروجه من عزلته الضيقة، كما بدأ في تكوين الجماعات الاجتماعية.

- البربرية الوسطى: تمكن الإنسان من صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية، وكانت بداية الكتابة الصورية.

وبعد اجتياز هذه المراحل انتقل الإنسان إلى **مرحلة التمدن** (التحضر وتحويل المنتجات)، والتي تتميز باختراع الحروف الهجائية والكتابة ...

أ- **ادوارد برنت تايلور**: (البريطاني 1832-1917) يرجع الفضل إلى تايلور في ابتكار مصطلح الثقافة في كتابه "الثقافة البدائية" سنة 1871 مفهوما أنثروبولوجيا بحسبانه"كل ما يفهم من العلم والعقيدة والعادات ...). عدّ تايلور الثقافة عنصرا مساعدا لفهم تاريخ بني البشر طالما أن الثقافة ظاهرة تميز الإنسان عن سائر الكائنات يكتسبها الفرد بالتعلم من مجتمعه الذي يعيش فيه.

لا يصر تايلور خلافا لمورغان على عد مراحل تطور الثقافة من الوحشية إلى البربرية فالمدنية حتمية ملزمة محتفظا بمبدأ التطور من الأدنى إلى الأعلى. لتايلور دراسات في الأنثروبولوجيا الدينية ودرس مراحل تطور الدين المسيحي وقد قدم تعريفا بسيطا عن الديانة وهو الايمان بكائنات روحانية. حيث أورد تايلور كلمة animisme (الأرواحية) لكي تغطي كل أشكال الاعتقاد في الكائنات الروحية (تتصور عالم الأشياء أو الطبيعة تسكنها أرواح).

**5. منهجية البحث والانتقادات الموجّهة للتطوّريين:**

تعتمد النظرية التطورية على المنهج التاريخي بطريقة تخمينية أي افتراضية بدون الاعتماد على وثائق مكتوبة، فنجد الأنثروبولوجي التطوري يفترض ويتخيّل أنماطا من التغيّرات والسلوكيات (الثقافية والاجتماعية) إنطلاقا من مؤثرات واهية إذ في الغالب ما تكون عبارة عن رواسب لبعض العادات والأعراف المعتبرة بمثابة الذخائر المتبقية من مرحلة سابقة، وهذا أساسا ما يعاب على التطوريين، أي عدم وجود دلائل مادية لطروحاتهم، لذلك اتجه التطوّريون إلى توظيف اكتشافات علماء الأثار في المجال البيولوجي (الحفريات العظمية) والثقافي (الأدوات التى استخدمها الإنسان) لتصحيح أو تأكيد نظرياتهم. نلخص أهم الانتقادات في النقاط التالية:

- يقول أوجيه: "أصبح كل من مورغان وتيلور مؤرخين للحضارات فهما يريان في المجتمعات الإنسانية مراحل على طريق تطور أحادي الخط، كما لو أن الإنسانية قد توافقت على غاية واحدة هي خلق المجتمع الغربي".

- خطأ تفسير ما هو مختلف انطلاقا من تجربة تاريخية خاصة وتقييم الآخرين بمقياس خاص وهذا ما أنتج ثنائية المجتمع: البسيط والبدائي من جهة، والمعقد والمتطور من جهة أخرى.
- الاعتماد على مصادر غير دقيقة وغياب الدراسات الميدانية.
- التركيز على مفهوم المركزية الإثنية الذي يقول بأفضلية المجتمع الغربي خاصة المجتمعين البريطاني والأمريكي.
- يرى مالينوفسكي أن التطوريين اختاروا بعض السمات الثقافية وانتزعوها من سياقها الاجتماعي الكلي وقاموا بالمقارنة بينها بشكل غير علمي لإثبات فروق مسبقة تتعلق بالتطور الاجتماعي.

## المحاضرة الثالثة عشر:

## النظرية الوظيفية Fonctionnalisme

**1. تعريفها:** اقترنت الوظيفية بالاتجاه العضوي في العلوم الطبيعية وقد اقترنت بالمماثلة العضوية والذي يرى أصحابها من بينهم "أدم سميث" أن المجتمع نسق طبيعي ينشأ من الطبيعة البشرية لا من العقد الاجتماعي. عرف عن الاتجاه الوظيفي بتركيزه على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة وفق واقعها المكاني والزماني بمعنى ليست دراسة متزامنة بقدر ما هي آنية. يرتبط مفهوم الوظيفية بالغائية التي ترى أنّ ظواهر الحياة بأجمعها تسير إلى غاية موجهة وفقاً لنظام ثابت ومحدد يؤثر فيه كل عضو بالأعضاء الآخرين وبنفس الوقت يستجيب لتأثيرات من أولئك الأعضاء ويكون هدف العلاقات الوظيفية متمثل باستمرار الحياة, فالغائية من هذا المنظور تتمثل في وحدة وظيفية ضمن منظومة تنتظم فيها ظواهر ووظائف وفق نظام ثابت تتكيف متغيراتها الوظيفية تبعاً للشروط الأساسية التي تستوجب لقاء الكائن الحي في بيئته.[1]

يستخدم علماء الاجتماع تعبير الوظيفية للدلالة على ترابط الظواهر الاجتماعية بعضها مع البعض الآخر في نسق وظيفي يوضح وظائف الأجهزة الاجتماعية التي تقوم بها في سبيل استمرار حياة المجتمع الإنساني والتفاعلات التي تتم فيه ضمن البناء الاجتماعي الواحد.

إنّ المقصود بالبناء الاجتماعي هو النظم الاجتماعية أو الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود بحيث تستطيع الاحتفاظ بكياناتها كجماعات رغم التغيرات التي تحدث للأفراد الذين يكونون تلك الجماعات فلكل مجتمع صورة أو نمط معين نصفه أنّه نسق أو بناء يعيش فيه أفراده وينزلون على مستلزماته, وكلمة بناء هنا تعني التماسك والتوافق بين أجزاءه إلى الحدّ الذي يمكن تجنب التناقض الصارخ أو الصراع المكشوف وإنّ البناء يتمتع بدرجة من الديمومة أكثر مما تحظى به معظم الأشياء العابرة السريعة في الحياة الإنسانية إلى الحدّ الذي قد لا يفطن أفراد المجتمع نفسه أنّ لمجتمعهم بناءً مميزاً.[2]

---

[1] محمد صفوح الأخرس، مرجع سابق، ص61.

[2] محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار علاء الدين للنشر، سورية، 2008، ص52.

يمكن تشبيه البناء الاجتماعي مثل المادة الإسمنتية التي توضع بين الحجارة لبناء الجدار والتي تعمل على تماسك هذه الحجارة ليكوّن الجدار . فالعالم الأنثروبولوجي مهمته الكشف عن هذا البناء ما هي مكوناته وكيف امتزجت وما هي صفات كل منها على انفراد وكيف توالفت صفات الجزء مع صفات الجزء الآخر لتشكل مكوّن جديد بشد أجزاء البناء لبعضها، فمكونات البناء هي النسق القرابي والنسق الاقتصادي والنسق السياسي وفي كل نسق بالبناء تأخذ ظواهر السلوك والتصرف الاجتماعي شكل النظم الاجتماعية كنظم الزواج والعائلة والأسواق وأدوات السلطة السياسية وغير ذلك، وعلى هذا الأساس ركز الوظيفيون على (البناء) و(الوظيفة) أي بناء النظم والطريقة التي تعمل فيها هذه النظم كأجزاء في النسق لتؤمن احتياجات المجتمع لتحقيق التوازن الاجتماعي, وإنّ فكرة التكامل الوظيفي تعني أنّ أي جزء في أي نظام لا يمكن فهمه إلا من خلال علاقته الوظيفية ببقية مكونات النظام في المجتمع,.

وهذا يعني أنّ أنماط السلوك الإنساني تستهدف إشباع حاجات لا يدرك معناها إلا في ارتباطها بالأنماط الوظيفية الأخرى ضمن نفس البناء.[1]

فالوظيفية كمنهج تبحث عن الارتباط المتداخل بين الظواهر الثقافية يهدف الكشف عن كيف يعمل المجتمع فهي تنبش في عُقد كيفية ترابط وتفاعل عناصر النسق وتتسائل لماذا وجدت واستمرت أنماط ثقافية دون أخرى وفي مجتمع دون غيره، مثال: لماذا وجدت واستمرت ثقافة (السحر) في مجتمع (جزر التروبرياند) فلاحظوا أنّها وجدت واستمرت لتخفيض القلق وتبديد الخوف من العالم المجهول حولهم، ومثال آخر أوضحه "رادكليف براون" لماذا وجدت واستمرت الشعائر الدينية في (جزر الأندمان) في استراليا فوجدوا أنّها لتحقيق التماسك الاجتماعي.

خلاصة القول أنّ رؤية الوظيفيين للثقافة أنّها أكبر من مجرد الأجزاء المكونة لها وإنما هي تكوين بنائي وظيفي تربطه علاقات متبادلة ومتشابكة بين المكونات وأنّ أي تغير بهذه المكونات يترتب عليه رد فعل بالمكونات الأخرى، مدركين أنّ السمات الثقافية (مكونات الثقافة) تؤدي أغراضاً وتحقق وظائف وهناك ترابط بين السمات والوظائف والحاجات التي تشبعها .[2]

---

[1] محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ص52.

[2] شاكر الخشالي، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، الموقع الإلكتروني للأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، 2010، ص23.

**2. روادها:** اقترن الاتجاه الوظيفي بالأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا بأسماء "مالينوفسكي وراد كليف براون"

**أ- برونيسلاو مالينوفسكي (1884-1942):** بولندي الأصل حصل على الدكتوراه في الفلسفة ثم قرر أن يتخصص في الأنثروبولوجيا بعد قراءته لكتاب الغصن الذهبي لجيمس فريزر. يرى مالينوفسكي أن ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في ايطار اشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد وحصرها في التغذية والانجاب والأمان والحركة والنمو. ويرى الثقافة بانها "ذلك الكل من الأدوات والعقائد والعادات التي تؤلف في مجموعها الجهاز الذي يكون فيه الانسان في وضع يفرض عليه أن يكيّف نفسه مع هذا الجهاز الكلي لكي يحقق حاجاته الضرورية". ويؤكد مالينوفسكي أن الثقافة هي كلي وظيفي متكامل ويشبهها بالكائن الحي بحيث لا نستطيع فهم أي جزء من الثقافة إلا في ضوء علاقته بالكل، وان الوظيفة التي يؤديها بعناصر الثقافة الأخرى، أي أن الثقافة تدرس كما هي موجودة بالفعل وليس من الضروري أن نبحث في تاريخ نشأتها وتطورها.

وقد أدت دراسات مالينوفسكي وأبحاثه إلى بناء ثلاث مسلمات أساسية:

- الوحدة الوظيفية: كل عنصر من المجتمع يؤدي حتما وظيفة إيجابية للنظام الاجتماعي بمجمله.
- الوظيفة الكلية: كل عنصر له وظيفة داخل المجتمع.
- الوظيفة الضرورية: كل عنصر من المجتمع هو جزء أساسي منه ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنه أو عن وظيفته.

**ب- راد كليف براون (1881-1955):** بريطاني حاول أن يطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى علم طبيعي يقوم على الدراسة العلمية المقارنة للأنساق الاجتماعية عند الشعوب البدائية. درس البناء الاجتماعي وأنساق القرابة ومن أهم الاتجاهات التي تأثر بها وهيمنت على أفكاره مسألة المماثلة بين الكائنات الحية والحياة الاجتماعية. يعرف "براون الوظيفة بأنها الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي وهكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي كامنة في الدور الذي يؤديه في البنية الاجتماعية المكونة من أفراد مرتبطين ببعضهم

البعض (التماسك في العلاقات الاجتماعية). اهتم مالينوفسكي بمفهوم الثقافة وجعلها محورا لتحليلاته الوظيفية بينما براون اهتم بالمجتمع معتبرا اياه نسقا طبيعيا.

حسب "براون" فإن دراسة الأشخاص تقع في نطاق البنية الاجتماعية ولا يمكن دراسة أي بنية اجتماعية ودونهم بحسبانهم وحدات البنية الرئيسية. إن دراسة المجتمع عند "براون بمعناها البنيوي تشير إلى الترابط الداخلي بين البنية الاجتماعية وبين صيرورة الحياة الاجتماعية وعليه استخدم مفاهيم مثل **صيرورة process وبنية structure ووظيفة function** بنى من خلالها نظريته في تفسير الأنساق الاجتماعية. تقوم فكرة الوظيفة بمعناها البنيوي عند "براون" على أساس أن البنية تؤلف مجموعة من العلاقات المترابطة بين الوحدات البنيوية (الأسرة وحدة بنيوية والعلاقات الأسرية القائمة بين أفرادها هي علاقات بنيوية يستحيل رؤيتها في عموميتها في أية لحظة لكننا نستطيع ملاحظتها. وبالتالي أهم ما يميّز تفسيرات "براون" وتحليلاته الوظيفية هو تركيزه على البنية الاجتماعية ووظيفتها وهو ما أدى إلى ظهور اتجاه جديد في الأنثروبولوجيا معروف بالاتجاه البنيوي الوظيفي Structuro-fonctionnalisme.

### 3. نقد النظرية الوظيفية:

تعرضت النظرية الوظيفية لكثير من الانتقادات من طرف المعارضين والأتباع وهذه أهم الانتقادات:

أ. **المماثلة:** يرى إيفانز بريتشارد أن المجتمعات هي أنظمة معنوية وليست طبيعية ودراستها تنتمي إلى النوع التأويلي أكثر من التفسيري، وهذا ما أكده ساهلينز أنها البعد والرمزي في المجتمع مكتفية بوصف خصائص التنظيم الاجتماعي.

ب. **الحتمية الوظيفية:** يقول ليفي ستروس «إن القول بأن المجتمع يعمل هو أمر بديهي ولكن القول بأن كل شيء في المجتمع يعمل هذا أمر عبثي». كما أكد ليش على«أن الاستخدام الوظيفي للوظيفية يقوم على التباس منطقي يغطي فئتين مختلفتين وقائع مرئية وغايات محتملة». وبين لويس مير أيضا أن «مفهوم الوظيفة اتخذ دلالات شديدة الاختلافات حالت دون تمتعه بفعالية إجرائية كافية».

ج. **التوازن:** هناك نظرة تفاؤلية مفرطة فيما يخص التأكيد على التوازن ونكران الخلافات والتوترات، لذا ركز الماركسيون في انتقاداتهم على عجز الوظيفية في تفسير وتبيان التوترات والتناقضات والتغير الاجتماعي كما أكد على ذلك الوظيفيون الجدد من أمثال غلوكمان لذي أكد على أهمية الخلافات والتناقضات من خلال وجود دينامية داخلية وهذا ما ذهب إليه سبرتشا من خلال وجود التضاد والتكامل في مجتمع "النوير بالسودان".

د. **اللاتاريخانية:** أكد باحثون ماركسيون ووظيفيون من أمثال "غلوكمان" على أهمية التاريخ في دراسة المجتمعات الإنسانية وأدانوا الخيار الوظيفي المناهض للتاريخ.

هـ. نقد المسلمات الوظيفية حسب" روبرت ميرتون:"

- هناك عناصر يمكن أن تكون وظيفية بالنسبة لجماعات وغير وظيفية بالنسبة لجماعات أخرى كالدين الذي يؤدي وظيفة اندماج اجتماعي كما يمكن أيضا أن يكون مصدرا للصراع.
- يمكن أن يكون هناك عنصر لا وظيفي.
- هناك بدائل وظيفية تسمح بتوقع تحولات في الوضعيات الاجتماعية (مثل تربية الأبناء، دور الحضانة، المربيات).

## المحاضرة الرابعة عشر:

## النظرية الانتشارية Diffusionnisme

**تمهيد:**

يتابع الأنثروبولوجيون أصحاب الاتجاه الانتشاري الظواهر الثقافية والاجتماعية والتي هي في الأساس من إبداعات الشعوب والتي تظهر في مناطق جغرافية ثم تنتشر متعدية منشأها الأصلي، وذلك نتيجة تفاعل وتدخل عدد من الأسباب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية.

يرى علماء الأنثروبولوجية الاجتماعية أنّ انتشار السمات الثقافية لمجتمع ما قريباً أو بعيداً يساعد على تهيئة الظروف بأحداث التغيير الثقافي أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى في المجتمع الذي حلت به تلك السمات وبهذا يرى الإنتشاريون أهمية الاتصال الثقافي أو التفاعل بين الجماعات لكي تنتقل السمات الثقافية من مجتمع لآخر وقد قسم الأنثروبولوجيون أفكار وآراء عموم علماء الأنثروبولوجية.

**I.المضمون العام للنظرية الانتشارية:**

تعتمد على البحث في أصل الثقافات البشرية هل هو ذو أصل واحد (مركز ثقافي واحد) أو متعدّد المراكز أو كل منطقة ذات استقلالية ثقافية أي صانعة لثقافتها الخاصة بها. فتعددت المدارس المفسرة لطريقة الانتشار الثقافي.

وهذا ما يفسّر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية الأساسية. إلاّ أنّ أصحاب هذا الرأي لم يقدّموا الدلائل على أماكن وجود تلك المراكز، أو عمليات تتبع حركات الاتّصال فيما بينها، ودراسة النتائج المترتّبة على ذلك، بطريقة منهجيّة سليمة .[1]

**II. المدارس الإنتشارية:**

انقسم الإنتشاريون إلى ثلاثة مدارس أساسية وهي:[2]

**1. المدرسة البريطانية (أصحاب المركز الثقافي):** يرى أصحابها (إليوت سميت، بيري، ريفرز) أن هناك مركزا رئيسيا للحضارات هو مصر القديمة والتي كانت أساسا للانتشار

[1] حسين فهيم، مرجع سابق، ص160.

[2] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص49.

الثقافي. يستدلون بأن مصر بأهراماتها وعبادة الشمس من قبل فراعنتها كانت هي المراكز الذي انتشرت منه الحضارة فقلدها العراقيون والمكسيك واليابانيون فيعتقد الإنتشاريون أنّ هذه الأبنية الضخمة لا يمكن ابتداع إنشائها بواسطة تلك الشعوب فالناس يميلون للاستعارة أكثر من الابتكار وقد اسند هؤلاء انتشار صناعة النسيج والخزف والفنون ونظم الحكم والإدارة والديانة إلى نفس النظرية.

2. **.المدرسة الألمانية والنمساوية (أصحاب الدوائر الثقافية):** (راتزل، غرونبر، فروبينيوس) هناك دوائر ثقافية تمثل مراكز حضارية تشترك في سمات ثقافية واحدة وتزداد درجتها كلما اقتربنا أكثر من المركز. وفي طليعتهم "وليم شميدت" الذي عاش في الفترة ما بين (1868-1959) .

لقد رفض هذا الفريق فكرة المنشأ (المركز) الواحد للحضارة الإنسانية، لأنّ هذه الفكرة ضرب من الخيال أكثر من قربها إلى الأساس العلمي. وافترضوا وجود مراكز حضارية أساسية وعديدة ، في أماكن متفرقة في العالم. ونشأ من التقاء هذه الحضارات، بعضها مع بعض، دوائر ثقافية تفاعلت ببعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة .

وكان "ويسلر" أوّل من استعمل (الدائرة الثقافية) بهذا المعنى، في بحثه عن ثقافات الهنود الأمريكيين. ولا يزال تعريفه لهذا المفهوم على الرغم من تعديله، منذ ذلك الوقت مفيدا في هذا المجال، إذ يقول: "إذا أمكننا تجميع سكان العالم الجديد الأصليين، أي الهنود الأمريكيين، فسنحصل على دوائر متعدّدة : دوائر طعام، دوائر منسوجات، ودوائر خزف ... وغيرها. وإذا أخذنا في الحسبان العناصر جميعها في وقت واحد، وحوّلنا الوحدات الاجتماعية أو القبلية، يمكننا أن نجد جماعات محدّدة المعالم، وهذا ما يعطينا الدوائر الثقافية، أو تصنيفاً للجماعات وفق عناصر ثقافتهم ".[1]

3. **المدرسة الأمريكية (أصحاب المناطق الثقافية):** (ويسلر، كلاكهون) هم تلامذة "بواس" صاحب المدرسة الأمريكية، يرى أصحاب فهي تؤيد الانتشار بأنّ فكرة الملامح المميزة لثقافة ما قد وجدت في مركز جغرافي ثقافي محدّد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى, لكن هذه المدرسة تؤيد احتمال التطور المتوازي المستقل كون البشر مبتكرين بطبعهم، كما تنتقد تناول

[1] ميلفيل. ج. هرسكوفيتز ، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، تر: رياح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق،1974، ص 124.

البريطانية لموضوع انتشار السمة الثقافية الذي رأت أنّه يجري بطريقة ضحلة لأنّ الموضوع يجب أن يدرس من جانب قبول أو رفض السمة أو حتى مجرد تعديلها بالمجتمع الذي حلّت فيه.

توافقاً مع المدارس الثلاث ظهرت **مدرسة الاتجاه التاريخي:** التي ترى التركيز على جميع الحقائق من تاريخ الثقافات والشعوب وذلك بدراسة ديناميكية الثقافة وتفاعل الثقافات من خلال التحليل المقارن للأنماط الثقافية والدراسة المرتكزة على المادة الإثنوغرافية المحددة والتي تعين على مسار الثقافة وتفاعلها، لكن يرى أصحاب هذا الرأي أنّ المعرفة الإثنوغرافية المتوفرة حالياً لدى الأنثروبولوجيين لا تمكنهم من وضع نظريات موضوعية عن الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب ولكن ربما يأتي اليوم الذي يتمكن به الأنثروبولوجيون من ذلك.

إنّ الدراسات التي تجري بهذا الاتجاه وجهت أنظار الباحثين إلى دراسة عدد من الموضوعات المحددة مثل الانتشار الثقافي أو الاستعارة الثقافية أو التغيير الثقافي والاتصال الثقافي(التثاقف).

### III. نقد الأفكار الانتشارية:

أُنتقد الاتجاه الانتشاري من عدّة زوايا نوجزها في ما يلي:

- يرى بواريه أن المسلمات الانتشارية مبالغ فيها إذ يقول أن المسافة الجغرافية لا أهمية لها بالنسبة للانتشار مهما كانت كبيرة.
- نوهت المدرسة الانتشارية بالثوابت لثقافية واختزلت جهود الإنسان في التقليد والاتباع وجعل تاريخ البشرية مجرد سلسلة من الاستعارات الثقافية دون الاعتراف بالإبداع البشري وقدرته على الابتكار.
- انطلق "إليوت سميث" و"بيري" من فكرة وجود مركز حضاري (مصر الفرعونية) انتشرت من خلاله المؤسسات والتقنيات والأفكار وهذا ما ينفي وجود نمو قائم بذاته، لكن الاكتشافات الفنية والأثرية بينت أم هناك بؤر حضارية أخرى في العالم عرفت نموا مستقلا وهذا ما يلاحظ مثلا في الفنون الإفريقية بالبنين والتي تختلف كليا عن تلك المعروفة في مصر.

## المحاضرة الخامسة عشر:

## النظرية البنيوية Structuralisme

**تمهيد:**

لقد نشأت الأنثروبولوجيا البنيوية في فرنسا وتطورت على يد الباحث الأنثروبولوجي "كلود ليفي ستراوس" وبمؤلفاته العديدة والتي تمحورت أغلبها في هذا الاتجاه وخاصة كتابه الشهير بجزئيه الأول والثاني بعنوان "الأنثروبولوجيا البنيوية"، والذي طرح خلاله أغلب طروحاته وأفكاره المعرفية والمنهجية.[1]

**1. رواد البنيوية:**

من بين المفكرين الذين استخدموا البنيوية في تحليلاتهم حسب تخصصاتهم العلمية نذكر أشهرهم كالآتي:

- العالم الأنثروبولوجي "كلود ليفي ستراوس" C. Levi-Strauss.
- المحلل الثقافي والناقد الأدبي "رولاند بارت" Roland Barthes.
- الفيلسوف الماركسي "ألتوسير" Althusser.
- المحلل النفسي "لاكان" Lacan.
- الفيلسوفان "ميشال فوكو" M. Faucault و"جاك دريدا" J. Derrida.

وأول هؤلاء هو فقط من قبل بوصف "البنيوي" دون تحفظ، أما آخرهم فيعتبر الملهم "لما بعد البنيوية"، ومع ذلك فإن هؤلاء المفكرين يتقاسمون لغة ومنهجية "بنيوية" مشتركة نتيجة التأثير الذي أحدثه العمل الرائد ل"دي سوسير" De Saussure في السيميولوجيا (علم العلامات).[2]

**2. مضمون البنيوية من منظور أنثروبولوجي:**

البنية بمفهومها تتكون من عناصر يكون من شأن أي تحوّل يطرأ على أحدها أن يُحدث تحوّلاً في باقي العناصر الأخرى، لأنها ما هي إلا نسق أو نظام متكامل ويوضح "ستراوس"

---

[1] محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 76.

[2] ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1999، ص ص 692-693.

مفهومه للبنية بما يلي: يرى شتراوس أنّ العبرة في دراسة الظواهر أو النظم الاجتماعية هي الوصول إلى العلاقة القائمة بينها لكن واقع حقيقية الظواهر لا تتمثل في ظاهرها على نحو ما تبدو للملاحظة بالعين بل تكمن على مستوى أعمق وهو مستوى دلالتها.[1] مثال أنّ الظواهر الاجتماعية الكثيرة التي يدرسها عالم الاجتماع من طقوس وعقائد وأساطير يربطها جميعها شيء مشترك هو (البيئة) والتي هي عبارة عن العلاقات الثابتة القائمة بين وقائع متنوعة وهذه الوقائع هي الظواهر التجريبية نفسها، فالبيئة بنظر "ستراوس" هي العلاقات القائمة بين الأشياء والتي يعتبرها أبسط من الأشياء نفسها، فما هو القاسم المشترك الذي يربط الطقوس والعقائد والأساطير لمجتمع ما فهذا القاسم المشترك أو هذا الرابط هو الأنثروبولوجيا البنيوية، فمثلاً في أي مجتمع نجد أن اللغة هي القاسم المشترك الرابط بين كل نشاطات ووقائع ذلك المجتمع سواء طقوسه أو عقائده أو أساطيره، فالتفاعل الرمزي يعطيك مضمون ودلالات تلك النشاطات والوقائع، وأوضح "ستراوس" أنّ النظرية البنيوية ترفض التعارض بين (العيني) و (التجريد) فهي لا تعطي قيمة ممتازة للمجرد فالصورة العيانية تتحدد قيمتها بمقارنتها بمادة غريبة عنها لكن البيئة لا تمتلك مضموناً مادياً متمايزاً وإنما هي نفسها المضمون المدرَك داخل تنظيم منطقي منظور إليه باعتباره خاصية الواقع أو النشاط أو الظاهرة، وهي من وجهة "شتراوس" منهج وليس نظرية.[2]

إنّ *شتراوس* في تحليله لمفهوم البنية انطلق من النماذج اللغوية في علم اللسانيات مستهدفاً تخليص العلوم الإنسانية من كل الشوائب الميتافيزيقة وبنائها على دعائم منهجية دقيقة من خلال استلهامه لمناهج علم اللسانيات.[3] وقد رأى العالم اللغوي النفسي *جان بياجيه* أنّ أحجية "ستراوس" ليست نماذج لغوية فقط وإنما هي نماذج رياضية ووصف "ستراوس" بأنّه قد عرف كيف يكتشف في صميم الأنظمة الاجتماعية متعددة القرابة أو صلة الرحم وجود بنيات جبرية تتألف بدورها من شيكات أو مجاميع من التحولات استعان في صياغتها على نحو

---

[1] زكريا ابراهيم، مشكلة البنية – أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، القاهرة، 1976، ص 35.

[2] فؤاد زكريا ، الحذور الفلسفية البنائية، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة الكويت،1980، ص 9.

[3] محمود فهمي حجازي، أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثروبولوجية، مجلة عالم الفكر، عدد حزيران، الكويت، 1972، ص 180.

رياضي ببعض المناهج الرياضية في عمليات التصنيف والتحليل للحضارات كافة التي قام بوصفها وتحليلها وتفسيرها، وأوضحت دراساته عن المجتمعات البدائية ما يلي:

1- إنّ تلك المجتمعات البدائية هي مجتمعات في غاية التعقيد في بناها الاجتماعية والثقافية واللغوية.

2- رأى "ستراوس" انّه ليس ثمّة إنسان طبيعي ما دام من طبيعة الإنسان أن يتمثل الطبيعة على شكل ثقافة .

3- ورأى "ستراوس" أنّه من الخطأ التوحيد بين العقلية البدائية للمجتمعات وبين عقلية الطفل والسبب في ذلك يعود إلى:

أ- أنّ بنية المعرفة عند الإنسان البدائي لا تختلف عندنا الآن.

ب- أن الرجل البدائي لا يمثل استمراراً لمراحل تاريخية سابقة وكأنه سليل لجماعات قديمة انقرضت من على سطح الأرض لسببين:

- لأنّ هذا منافي لمنطق التاريخ الذي يقوم على التطور والتغيير.
- لأنّ تلك المجتمعات تغيب عن بنيتها الاجتماعية (الدولة) لعدم وجود ملكية خاصة لأنّ ملكية أدوات الإنتاج لكل الأفراد وبالتالي فهي ليست جاهلة لجهل الطفل إنما لا توجد أسباب للنزاعات والصراعات .

### 3. الانتقادات الموجهة للبنيوية:

مما أن البنيوية كانت ولا زالت موضوعا مطروحا للنقاش لعدّة تخصصات أكاديمية من لغة وأدب، فلسفة، علم اجتماع وأنثروبولوجيا، فلم تقتصر على كونها نظرية بل تعدّت لكونها منهجا علميا (رأي ستراوس) يستعمل في البحوت العلمية، واعتبرها أخرون تمثل توجها إديولوجيا (ماركس) وطرح بعض الفلاسفة "ميشال فوكو" M. Faucault و"جاك دريدا" J. Derrida فكرة ما بعد البنيوية. فبالتالي تشعّب النظرة للبنيوية كانت محور الانتقاد حسب التخصصات التي تناولتها.

**خلاصة:** في كل التجمعات الإحيائية (إنسانية – حيوانية- وحتى النباتية) يقع الصراع فيها على الجنس والغذاء وكلا هذين النشاطين مرتبط بالملكية، ففي عصر المشاعية البدائية كان الجنس والغذاء للجميع فلا يوجد تملك لا للجنس ولا للغذاء وعليه لا يقع صراع أما في الحقبة الأخيرة (العليا) من مرحلة البربرية التي تلت مرحلة الوحشية واللذان هما يشكلان عصر

المشاعية في تلك الحقبة ظهرت الملكية للحيوانات والأرض وظهرت العائلة الزواجية وظهرت الصراعات، وهذا ما قاله "ستراوس" أن الحدّ الفاصل بين الطبيعة والثقافة وبين الإنسان والحيوان هي اللغة وعتبة العمل، لأنّ اللغة هي أداة التفاعل الذي دلالاته الجنس والغذاء، والعمل دلالاته الملكية في تلك العصور ثمّ ظهرت الدولة والسلطة وأصبح للسلطة دور في عائدية الملكية واليوم السلطة هي التي تحمي الملكية حتى في الدول الرأسمالية فالسلطة هي التي تحمي نظامها.

# المحور الخامس:

# المنهج الأنثروبولوجي وأدواته

**المحاضرة السادسة عشر: المنهج الأنثروبولوجي وطرقه البحثية**

**المحاضرة السابعة عشر: الأنثروبولوجي أحمد أبوزيد ومنهجيته في الدراسات الميدانية**

## المحاضرة السادسة عشر:

## المنهج الأنثروبولوجي وطرقه البحثية

**تمهيد:**

يتميّز المنهج العلمي الذي يعتمد البحوث الميدانية بارتباطه الوثيق بين النموذج النظري والنموذج المنهجي، والمنطوي بالتالي على استخدام التقنيات الكميّة في الدراسات الأنثروبولوجية، والذي يشبه – إلى حدّ بعيد– ذلك الارتباط بين النظرية والمنهج في العلوم الحديثة والمعاصرة.

تفرض طبيعة البحوث الأنثروبولوجية النزول إلى ميدان الدراسة، حيث يذهب الأنثربولوجي لكي يقوم بعمله إلى مجتمع الدراسة الذي اختاره موضوعاً لبحثه، فيستمع إلى أحاديثهم ويزور بيوتهم، ويحضر طقوسهم ويلاحظ سلوكهم العادي .. ويسألهم عن تقاليدهم، ويتآلف مع طريقة حياتهم حتى تصبح لديه فكرة شاملة عن ثقافتهم، أو يحلّل جانباً خاصاً من جوانبها. فعالم الأنثروبولوجيا، في عمله هذا، إثنوغرافي وجامع للمعلومات، يحلّلها ويربطها بمعلومات أخرى، عندما يرجع من الميدان .[1] وفي ذلك جانب علمي تطبيقي.

إن أفضل توصيف لأساس الأنثروبولوجيا هو التزامها بالسياقية الشمولية، وهذا يعني أننا عندما نبدأ دراسة أمر ما، على افتراضنا الأساسي أن يكون "الجهل"، أي أننا ببساطة لا نعرف ما هي العوامل التي تؤثر في حياة من ندرسهم وكيف تؤثر وتتأثر؟ قد يكون الجندر، الدين، العمل، أو العائلة. أضف إلى ذلك، أن أياً من هذه العوامل لا يمكن عزله لتقديم إرتباط إحصائي يعول عليه. لأننا – في الحياة الواقعية – لا يمكننا ذلك.

### 1. نشأة الدراسات الميدانية ذات الطابع التطبيقي:

نشطت الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، بشكل واسع وازدهرت، في أعقاب الحرب

[1] ميلفيل. ج هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، تر : رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، 1974، ص 85.

العالمية الثانية حيث لجأت الدول المستعمِرة، ولا سيّما (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) إلى تشجيع هذه الدراسات على الشعوب التي تستعمرها، بغية التوصّل إلى معارف دقيقة عن الأنظمة السياسية والاجتماعية السائدة عند هذه الشعوب، والتي تنعكس في أحوالها الشخصيّة والمعيشية، بما في ذلك من طقوس دينية وعادات وتقاليد، وأساليب تعاملية بين أفراد المجتمع .

وهذا كلّه يسهّل على الدول المستعمِرة إدارة الحكم في مجتمعات الشعوب المستعمَرة، واستغلال مواردها الاقتصادية ونهب خيراتها، بذريعة تنميتها وتطويرها.

وهكذا، برزت الأنثروبولوجيا الميدانية والتطبيقية، علماً يساعد في تحقيق أمرين أساسيين، في المجتمعات المدروسة :

- حلّ المشكلات الناتجة عن الإدارة والحكم المحلّي، في المجتمعات البدائية والمحلية.
- معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع في هذه المجتمعات، والمساعدة في التكيّف المناسب. [1]

## 2. إشكالية البحوث الميدانية في الأنثروبولوجيا:

يواجه الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة الدور الذي يجب أن يؤديه في مجتمع الدراسة للحصول على البيانات والمعلومات الصحيحة ،حيث مع وجود الباحث في مجتمع الدراسة قد يدفع الأفراد موضع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبّر عن الواقع، وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة غيرهم ولذلك وجب على الباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع حتى يقبله أفراد المجتمع وكأنه أحدهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويضعف شعور العداء لديهم فيجمع المعلومات الصحيحة.

في الكثير من الحالات يفتقر الباحث الأنثروبولوجي للدعم المادي لتغطية كافة مراحل البحث من سفر والإقامة وكل المتطلبات التي يحتاجها، مما يضطره لتأجيل بعض المراحل أو إلغائها مما يؤثر على نتائج البحث.

[1] ابراهيم ناصر، مرجع سابق، ص 82 .

### 3. أسس ومبادئ الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية:

تتمثّل الأسس الهامة في الدراسات الأنثروبولوجية بميادينها المختلفة في إقامة الباحث في مكان دراسته، يعايش الجماعة كما هي في الواقع، ويحصل على كلّ ما يريده من علاقات وقيم وعادات وأنماط حياة، تحدّد طبيعة هذا المجتمع وهويته الثقافية. ولذلك، فإنّ ثمّة مبادىء أساسية – كما يرى مالينوفسكي– لا بدّ أن يستند إليها الأنثروبولوجي في بحثه الميداني، وهي:

- أن يكون الباحث الميداني ملمّاً إلماماً تامّاً بالمعلومات الأنثروبولوجية، وأن يكون لديه هدف علمي واضح لموضوع بحثه .
- أن يعيش الباحث (الأنثروبولوجي) الميداني، في المجتمع الذي يدرسه، ويقطع اتصاله بالعالم الخارجي بصورة تامّة، ويحصر اهتمامه بالجماعة التي يدرسها .
- أن يطبّق عدداً من الأساليب، في جمع المعلومات وتبويبها وتفسيرها.. أي أنّ عليه أن يستخدم طرائق عدّة مختلفة من طرائق البحث الميداني، لأنّ بعض الطرائق التي يمكن أن تصلح لدراسة ظاهرة أنثروبولوجية محدّدة، قد لا يصلح تطبيقها في دراسة ظاهرة أخرى. [1]ولكن بما أنّ الأنثربولوجي عامل واحد فحسب، في الحالة الميدانية، فإنّ الطريقة المثلى ليست دائماً، هي الطريقة التي يحسن استخدامها، إذ يجب إن يأخذ الجماعة التي يدرسها في الحسبان، لأنّ تصوراتها وأحكامها المسبقة ومخاوفها، هي التي قد تهيمن على الميدان. وهذا الموقف العام الذي لا يلقى الاهتمام الكافي من الباحث الأنثروبولوجي، هو من صميم العنصر الإنساني الذي تجب دراسته بعناية فائقة .
- التحلّي بالتجرّد العلمي الذي يتطلّب طرحاً قاطعاً لكلّ أحكام القيمة. إذ يجب على الباحث في الثقافة الإنسانية أن يلاحظ تقاليد الشعب الذي يدرسها ويصفها، شأنه في ذلك شأن العالِم الكيميائي الذي يكرّس نفسه، لفهم العناصر التي يحلّلها وفهم سلوك كلّ

[1] ابراهيم ناصر، المرجع السابق، ص 83.

منها في علاقته مع العناصر الأخرى. [1]

ساد الاعتقاد لسنوات عديدة في مجال البحث الأنثروبولوجي الميداني، أنّ الأشخاص الراشدين هم وحدهم القادرون على إعطاء الباحث صور حقيقية عن الثقافة، فإنّ هذا الاعتقاد لا يصحّ اليوم، لأنّ الثقافة هي ما تصنعه الثقافة، وتنوّع السلوك المقبول لدى الجماعة، يسمح بأن يتّخذ الرجال سلوكاً مغايراً لسلوك النساء، وأن يتّخذ سلوك الأحداث سلوكاً مغايراً لسلوك الراشدين، ولذلك فإنّ أفضل طريقة يتبعها العالم الأنثروبولوجي في البحث عن الثقافة، هي أن يتحدّث إلى الرجال والنساء، والأحداث والراشدين، وملاحظة أكبر عدد من الأفراد، وفي أكثر ما يمكن من الأوضاع. [2]

كما أصبحت أشكال العلاقات والمشاركات المختلفة، بين الأنثروبولوجيين والناس الذين هم موضع الدراسة، تشكّل نقطة هامة لدى مراجع الأنثروبولوجيا، وتتعلّق بما يثيره عالم الأنثروبولوجيا من تساؤلات،باعتبارها وسائل وأدوات لا بد منها لتفسير تلك الألغاز الأنثروبولوجية .

تتطلّب الدراسة الميدانية (الحقلية) ما هو أكثر من وجود الباحث ومراقبته السلبية لما هم عليه الناس. وذلك، لأنّ الباحث يحتاج – غالباً– في ملاحظته، إلى التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي (النظري) يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه.[3]

## 4. الأدوات المستخدمة في البحوث الأنثروبولوجية:

واستناداً إلى المنطلقات السابقة، فقد أقرّ علماء الأنثروبولوجيا بعض الطرائق الميدانية التي يمكن اعتبارها أيضاً أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني، ومنها : طريقة الاستبيان،

---

[1] ميلفيل. ج هرسكوفيتز ، مرجع سابق، ص 87.

[2] المرجع نفسه، ص 99.

[3] *عبد الله عبد الغني غانم وآخرون، المدخل إلى علم الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية*، 1989، ص 228.

طريقة الملاحظة المباشرة أو بالمشاركة، طريقة المقابلة، طريقة المقارنة، طريقة حالة حياة الفرد، الأدوات السمعية البصرية.

وإذا كان كلّ مفهوم نظري له بدائل إجرائية ، تستخدم للملاحظة والإجراء العلمي، فإنّ الفكرة ذاتها نجدها مطبّقة في الدراسة الأنثروبولوجية، حيث يستخدم الباحث أكثر من مقياس، وأكثر من طريقة للملاحظة، في دراسة النظم الثقافية / الاجتماعية. [1]

وهكذا، تختلف وسائل كلّ طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها.

**1. طريقة الاستمارة (الاستبيان)** Questionnaire:[2]

هي من أقدم الطرائق البحثية، وما زالت مستخدمة على نطاق واسع في كثير من الدراسات المسحية / الميدانية. وقد أخذت هذا الاسم من عنوان نشرة أصدرتها لجنة من المعهد الأنثروبولوجي الملكي، التابع لرابطة( تقدّم العلم البريطانية) عام 1875، ثمّ جرت عليها خمس تنقيحات، إلى أن ظهرت الطبعة السادسة منها عام 1951 .

قامت فكرة إعداد استمارة شاملة تغطي جوانب الثقافة المادية، وغير المادية، على ادّعاء الباحثين بأنّ ثقافات الشعوب البدائية جميعها، مهدّدة بالزوال، ولذلك، يجب الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، طالما هذه الشعوب موجودة. وتؤدّي هذه الطريقة إذا استعملها ملاحظ غير مؤهّل للبحث الأنثروبولوجي، إلى جمع الكثير من الوقائع، ولكنّها تعطي القليل من المعلومات، سواء عن كيفيّة ارتباط هذه الوقائع كلّ منها في الكلّ الذي يؤلّف الثقافة، أو العنصر الإنساني في الحياة اليومية لدى شعب من الشعوب .

ولكنها – في المقابل – تساعد الأنثروبولوجي المختص، في التحقّق من النقاط التي

---

[1] Pelto Pretti , Anthropology Research , London, 1970, p 89 .

[2] لتصحيح المصطلحات الاستبيان باللغة الأجنبية Questionnaire (مجموعة أسئلة) والاستمارة formulaire عبارة عن وثيقة معدة سلفا من هيئة غالبا رسمية يجب ملؤها من طرف المعني.

يكون قد أهملها. وهذا ما دعا ناشري الطبعة السادسة إلى وصفها بأنّها " **مذكرة يدوية للأنثروبولوجي المختص الذي يقوم ببحث ميداني**". [1]

وهذه الطريقة شبيهة بطرائق البحث في العلوم الاجتماعية. ففي الدراسات الأنثروبولوجية على المجتمعات المتقدّمة، يوزّع الباحث الاستمارة (الاستبانة) على الأفراد المدروسين، ويترك كلاً منهم يجيب عن الأسئلة بطريقته. غير أنّ أسلوب التنفيذ والتطبيق يختلف في دراسة الشعوب البسيطة (البدائية) التي لا تعرف الكتابة، حيث يقوم الباحث بطرح السؤال ويدوّن الجواب الذي يسمعه، وكذا الحال في الحوارات والمناقشات .

**2. الملاحظة بالمشاركة observation participante:**

في الملاحظة بالمشاركة يكون الباحث عضواً ممثلاً في البيئة المدروسة نتيجة لحالات يكون من الصعب دراسة ظاهرة معينة من الخارج، وهذه الصعوبة تتجلى في عدم الحصول على المعلومات الصحيحة.

تسمح الملاحظة بالمشاركة للباحث الكشف عن الواقع لأنه يكون عضوا طبيعيا في مجموعة الأفراد قيد الدراسة، كأن يشارك العمال في مؤسسة ما نشاطهم المهني دون أن يكشف أمره كفرد يقوم بعمل ما وهو يؤدي مهمته كباحث. إلا أن هذه الأداة تثير الجانب الأخلاقي وذلك بالتدخل في شؤون الأفراد وحالاتهم الشخصية دون أن يعلموا بذلك.[2]

فمعايشة ومشاركة الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد الدراسة، يتمكن من دراسة حيثيات ثقافتهم. وتعد هذه الطريقة من أهم طرق البحث الأنثروبولوجي وفي ذات الوقت من أصعبها، فأول مشكلة تقابل الباحث في هذا المجال – مشكلة الدور – الذي يجب أن يؤديه لكي يحصل على معلومات موضوعية، وتعود أهمية هذه المشكلة إلى أن تواجد الباحث في مجتمع ما قد يدفع الأفراد موضوع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الحقيقة وذلك لشعورهم بأنهم موضع ملاحظة للغير.

[1] ميلفيل. ج هرسكوفيتز، ،مرجع سابق، ص 102 .

[2] محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص98-99.

فمن خلال الدور الذي يتقمصه على الباحث أن يتكلم لغتهم وأن يستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها، ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم واجتماعاتهم (الدينية أو الشعبية) وجنائزهم وارتداء ملابسهم. وخلال فترة المعايشة ورصد الحركات والتصرّفات، على الباحث تدوين تقارير يومية عن كل ما يلاحظه من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات.[1] وعندما يتمكن من الإلمام بفكرة عامة عن أسلوب معيشة معينة يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والتركيب البنائي للمجتمع حتى تصبح دراسته واضحة على مستوى التحليل العلمي.

ولكي تكون نتائج هذا المنهج موضوعية وناجحة، فقد وضع "إيفانس بريتشارد Evans Pritchard" عدة شروط لذلك أهمها:

- لكي ينزل الباحث إلى ميدان المعايشة لابد أن يمر بمرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية خاصة علم الاجتماع.
- على الباحث أن يقضي فترة كافية في الاشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، وتحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها، وعادة مالا تقل تلك الفترة عن عام.
- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بأهالي المجتمع المدروس من خلال مشاركتهم جوانب حياتهم الاجتماعية.
- على الباحث أن يستخدم لغة المجتمع المدروس ولا يستخدم المترجم لأنه يفشل في نقل الأفكار والمعاني بدقة.
- على الباحث أن يدرس المجتمع دراسة كلية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية حتى وإن كان بحثه ينصب حول موضوع محدد بالتفصيل.

[1] كلايد كلوكهون، مرجع سابق، ص 28 .

- لابد من أن يتوفر في الباحث نوع معين من الشخصية والمزاج كي يتمكن من تكييف نفسه عقليا ونفسيا وجسميا مع ظروف المجتمع المدروس.
- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر الإمكان حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية.
- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل، وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه وهذا لا يعني أن يكون أديبا فحسب بل قادرا على التعبير بلغة واضحة وسليمة.

**أهمية تقنية الملاحظة بالمشاركة:**

يعتمد بعض الباحثين على وسيلة الملاحظة بالمشاركة وذلك لميزاتها التالية:

- إمكانية الحصول على معلومات وفيرة عن مجتمع الدراسة.
- تكوين صورة واقعية للظاهر الملاحظ.
- الوصول إلى تحليل عميق وتفسير أكثر دقة.
- تتيح إمكلانية استخدام الحواس الخمس في جمع الحقائق.
- الملاحظ هو الذي يقرر ويحدد المعلومات وليس المبحوث.
- يعد مجتمع البحث عينة شاملة ويكون كل فرد في المجتمع مصدرا للمعلومات مما يتيح المجال الحصول على معلومات أكثر دقة وشمولية.
- تصلح لجمع المعلومات ممن لا يعرفون القراءة والكتابة مثل المجتمعات البدائية والأطفال وكبار السن.

**3. طريقة الملاحظة المباشرة بالمشاهدة Observation directe :**

ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة أو معاينة أفراد الفئة الذي تجري عليه الدراسة، في أثناء تأدية أعمالهم اليوميّة المعتادة. فعلى الباحث حضور المناسبات العامة التي يقيمها أبناء هذا المجتمع، كالحفلات والاجتماعات (الدينية أو الشعبية) وحلقات الرقص، ومراسم دفن الموتى، وغيرها .. ورصد الحركات والتصرّفات، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات وأغان وتراتيل،

وما إلى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات. [1]

فعلى الباحث ملاحظة دقائق الحياة اليوميّة كما تجري بين الناس .. وهكذا يرى الباحث عناصر الحياة اليومية تتكرّر مرّات ومرّات أمامه، وتصبح من الأمور العادية بالنسبة له. [2]

وتحتاج طريقة الملاحظة بالمشاهدة إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقّة وموضوعية، حيث يتوقّف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة .

على الأنثروبولوجي أن يحاول أن يكون صديق الجميع، وهذا ما تتيحه معيشته بينهم، ومعايشته ظروفهم الحياتية البسيطة أو الصعبة . كما عليه تعلم السلوك المناسب – التكيف والاعتماد التدرجي لأساليب الناس الحياتية. على الأنثروبولوجي أن يتشبه بالحرباء، قدرته على تغيير سلوكه، مظهره، ولغته، لتناسب الجماعات المختلفة ضمن المجتمع المحلي الذي يدرسه، وهدفه أن يجعل الآخر مرتاحاً لحضوره، ليصبح تواجده طبيعياً.

بالطبع، لا بد من التوضيح أن الباحث قد قام بالتعريف عن نفسه وعن طبيعة بحثه الذي يجريه، وأخذ موافقات (مكتوبة أحياناً) من الإخباريين لاستخدام المعلومات التي يقدمونها، كما عليه أن يحمي مصادره من أي ضرر مادي أو معنوي، لذا يتم اللجوء إلى عدم ذكر الأسماء الحقيقية، وأحياناً يتم تغيير بعض التفاصيل (كالعمر أو العمل) طالما أنها لا تؤثر على نتائج البحث، وهذا من الشروط الأخلاقية للعمل الحقلي!

إن مظهر الباحث يلعب دوراً أساسياً في نجاحه أو فشله، إذ لا يمكن له أن يلبس ربطة عنق ليتواصل (فيصادق) عمال مصنع – لأنه سيشبه الإداريين لا العمال –. والباحثة قد

---

[1] كلايد كلوكهون ، مرجع سابق، ص 28 .

[2] عبد الله عبد الغني غانم وآخرون، مرجع سابق، ص 227 .

تضطر للبس الحجاب إذا كان المجتمع محافظاً لتقدر على مصادقة النساء! اضطر أحد الباحثين إلى ثقب أذنيه، وتبني الزي المحلي لكي يقدر على ممارسة عمله الإثنوغرافي[1] .

على أسئلة الإثنوغرافي ألا تكون مباشرة، لذا فالجزء الأكبر من المعلومات سيتوفر عبر الثرثرة، والتي على الباحث أن يتأكد من مدى دقتها من أكثر من مصدر، ولاحقاً – بعد نشوء الصداقة والثقة – من ذات المصدر الذي قد يغير في بعض خبرياته (فهو قد يكون قال ما قاله سابقاً رغبة في إثارة الإعجاب أو إخفاءً للحقائق). (هذه معطيات ضرورية كذلك في الملاحظة بالمشاركة)

### 4. طريقة المقابلة الموجهة وغير الموجهة:

يستخدم الأنثروبولوجي خلال الدراسة الميدانية بالإضافة إلى طريقة المعايشة، طريقة المقابلة وتتمثل في مقابلة بعض أفراد المجتمع، واكتساب ثقتهم لكي يفتحوا له قلوبهم ولا يزيفون الحقائق. وفي المقابلة غير الموجهة، يوجه الباحث الأسئلة للمبحوثين ويتيح لهم فرصة الإجابة المطولة دون توجيه الإجابات وجهة معينة، وعلى الباحث أن يدون تلك الإجابات بطريقة لا تثير الشك سواء بالوسائل الحديثة أو تدوين ما يسمعه مباشرة بعد المقابلة حتى لا ينسى أهم عناصرها.

أما المقابلة الموجهة فتتمثل تلك الطريقة في استخدام استمارة أ وما يسمى بدليل المقابلة يتكون من مجموعة من الأسئلة التي وضعت بدقة حول موضوع معين، وفي معظم الأحيان تشمل الاستمارة الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملئها بسرعة وتفريغها في جداول، ولا تنجح المقابلة الموجهة إلا في المجتمعات المتمدنة التي تعرف القراءة والكتابة.

أثناء إجراء المقابلة على الباحث أول الأمر تجنب الأسئلة المحرجة، احترام الخصوصية، ملاحظة ملامح الوجه وحركات المستجوب، تلطيف الجو بالفكاهة حتى إذا ارتاح له المبحوث

[1] الإثنوغرافيا تسمى كذلك علم الإنسان الوصفي أو علم وصف ثقافات الشعوب.

وصار فيه بينهما نوع من الصداقة المتبادلة يترك له في الأخير الأسئلة المحرجة نوعا ما والتي لا بد منها لأهميتها العلمية.

**5. طريقة المقارنة:**

لا يجب على الأنثروبولوجي أن يكتفي بوصف قطاعات الثقافة في المجتمع موضوع الدراسة بل عليه أن يعمل على تحليل المعلومات الوصفية ليس فقط لتحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وإنما لفهم الثقافة ككل ويتم ذلك عن طريق الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية والكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية وباقي نظم الثقافة، وبعد أن يكشف الباحث الأنثروبولوجي عن طبيعة الثقافة والأنماط الاجتماعية الأساسية، يقارن تلك الظواهر الاجتماعية والثقافية بمثيلاتها في المجتمعات الأخرى. وكل دراسة جديدة لمجتمع ما تساعد على توسيع مجال المقارنة، ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية التي يقوم بها الأنثروبولوجيون المتخصصون، ولا يجب الاعتماد هنا على الدراسات الميدانية التي يقوم بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين .

**6. طريقتي تاريخ حياة الفرد والاختبارات النفسية:**

يستخدم الأنثروبولوجي أثناء الدراسة الميدانية طريقة تاريخ حياة الفرد وتتلخص في تدوين أهم الأحداث التي تمر في حياة بعض أفراد المجتمع موضوع الدراسة، حيث يقص على الباحث تاريخ حياته منذ الصغر حتى اللحظة التي يتحدث فيها، وتبادل الثقة بين الباحث والمبحوث هنا ضرورية لإضفاء الموضوعية على المعلومات المقدمة وكذلك لعدم الإخفاء المقصود لبعض المعلومات.

أما طريقة الاختبارات النفسية فتستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة ومن أمثلة تلك الاختبارات اختبار "رورشاخ"Rorschach ، ويتكون ذلك الاختبار من عشر لوحات رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غير منتظما ويطلب من الشخص أن يصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل

لوحة وعلى أساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته، وكثيرا ما يستخدم الاختبارات النفسية انثربولوجيو الثقافة الذين يتخصصون في تحديد العلاقة بين الشخصية والثقافة في مجتمع ما.

**7. الأدوات السمعية والبصرية:**

مع تطور تكنولوجيات السمعي البصري استعمل بعض الأنثروبولوجيين أدواتها ، وفي مقدمة هذه الأدوات، الأدوات السمعية والبصرية فقد رأى مثلا الأنثروبولوجي المصري الشهير أحمد أبو زيد أن الصور من أهم الأدوات ليس فقط كوسيلة للتوضيح، ولكن كأداة فعالة وسهلة وبسيطة لتلخيص المواقف المعقدة في (لقطة) واحدة سريعة قد يحتاج شرحها وتحليلها لملء عشرات الصفحات. وكان من رأيه أن الصورة تقرأ كالنص المكتوب وإن احتاجت إلى خبرة ويقظة ومران. وأشار إلى أن التصوير قد أصبح يؤلف فرعًا جديدًا هو الأنثروبولوجيا البصرية أو المرئية، له مؤلفاته وأساتذته، ودورياته المتخصصة. وفي ما يتعلق بالتسجيل الصوتي فرأى أنه يرتبط باعتبارات أخلاقية ترتبط بضرورة الحصول على موافقة المبحوثين، وهي أداة تتيح الفرصة للتحليل اللغوي الدلالي.

**خاتمة:**

تعد الأنثروبولوجيا علم منهجي والبحث الميداني من أهمّ مقومات نجاحه. وهذا يتطلّب من الباحث معرفة الطريقة التي عليه أن يستخدمها، واضعاً نصب عينيه أنّ المشكلة التي يدرسها، هي في الأساس مشكلة إنسانية. كما أنّ الواجب البحثي يقتضي أن يتمتّع الباحث، بدرجة عالية من الحساسية تجاه قيم الناس الذين يتعامل معهم، ومعرفة القوانين التي تحكم سلوكاتهم وأساليب التعامل معهم، وهذا ما يتيح له بناء علاقة وديّة معهم، وتسهّل بالتالي الحصول على ما يريده من معلومات .

## المحاضرة السابعة عشر:

## الأنثروبولوجي أحمد أبو زيد ومنهجيته في الدراسات الميدانية

بدأت الدراسات الأنثروبولوجية وفق المنظور الغربي للمجتمعات البدائية، ولكن الدراسات المعاصرة اتجهت نحو دراسة مجتمعات الريفية، القروية والحضرية رغم ذلك فالمجتمعات العربية والإسلامية تحمل خصوصية اجتماعية وثقافية معينة تختلف عنها في المجتمعات الغربية، وهذا ما جعل العديد من الجامعات الغربية تمنح منحا دراسية للباحثين العرب بغية إجراء دراساتهم الأنثروبولوجية في بلدانهم لأنهم الأقدر على فهم ثقافة مجتمعاتهم بحكم المعايشة، كما قام العديد من الأنثروبولوجيين العرب بأبحاث حول مجتمعاتهم فأيقنوا أن ما درسوه في الجامعات الغربية خاصة البريطانية غير قابل للتطبيق حرفيا في مجتمعاتهم العربية فصار لزاما عليهم وضع قواعد بحثية أنثروبولوجية عربية انطلاقا من المنهجية الميدانية القاعدية التي درسوها في الجامعات الغربية. ومن بين هؤلاء نقتصر على الأنثروبولوجي المصري أحمد أبو زيد[1] والذي يعد رائدا للبحوث الميدانية.

[1] مارس أبوزيد العمل الميداني مع مؤسسات مصرية وأجنبية (جامعة الإسكندرية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، الجامعة الأمريكية في القاهرة، مؤسسة كونراد...). وكانت البداية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، حين سجل دراسته لنيل درجة الماجستير في جامعة الإسكندرية، عن الموت والشعائر الجنائزية عند المسلمين في مصر، واستعان في إنجازها بدليل عمل ميداني وضعه جورج فوكار. ولظروف ما، لم يقدر لهذه الدراسة أن تتم مناقشتها.

بعدها، قدم بحثا ميدانيا لجامعة أكسفورد عن الواحات الخارجية في مصر، مثّل موضوع رسالته للدكتوراه، واستغرق 13 شهرًا بين عامي 1954 و1955. وفي العام 1958 تولى الإشراف على بحث عن الثأر في إحدى قرى الصعيد المصرية، بتكليف من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ثم عن جماعات البدو الرحّل في الصحراء الغربية بمصر والصحراء السورية صيف العام 1959 بتكليف من مكتب العمل الدولي.

وخارج مصر، تولى أبوزيد القيام بدراسات ميدانية ذات أهداف محددة، ابتغت التعرف على إمكانات التنمية وتقييم مشروعاتها، وشملت المناطق الصحراوية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في العام 1961، وأخرى لعدد من القبائل في شرق وغرب أفريقيا وجنوب السودان في العام 1962. وفي إطار هذا الهدف التنموي، قدم بحوثا ميدانية محلية، حول اتجاهات المصريين نحو العمل اليدوي، والمناطق المتخلفة بالإسكندرية، والتخطيط الإقليمي لمحافظة أسوان، وتنمية الساحل الشمالي الغربي.

**الأسس والمبادئ المنهجية عند أحمد أبو زيد:[1]**

وضع أحمد أبو زيد أسسا ومبادئ منهجية لإنجاح البحث الأنثروبولوجي في البيئة العربية، انطلاقا من الجمع بين النظري والميداني، كما أضاف بعض التقنيات رآها ضرورية إلى جانب تركيزه على احترام المبادئ الأخلاقية في البحوث الأنثروبولوجية، نذكرها كما يلي:.

**1. الجمع بين النظري والميداني:**

أكد أبوزيد على تداخل النظري والميداني وتلاحمهما، انطلاقًا من أن ممارسة العمل الميداني في هذا البحث يجب أن تكون مسلحة بخلفيات ومعرفة نظرية، في الوقت ذاته الذي يساعد على جمع المعطيات الميدانية على الخروج بإضاءات نظرية، وبالذات ما يرتبط بتواصل الظاهرة المدروسة بظواهر أخرى ضمن نظام اجتماعي معين.

وقد ترجم أبوزيد تداخل وتلاحم التأمل النظري والمعايشة الميدانية، حين رأى ارتباط هذه المعايشة بالإطار التصوري والإعداد الببليوغرافي واختيار مجتمع البحث وجمع بيانات مدونة عنه، حتى يكون الباحث قادرًا على استيعاب ما يلقاه من ظواهر وملاحظات، على نحو أغنى وأعمق مما تقدمه الأساليب الأخرى كالمسوح الاجتماعية والتوثيق المكتبي، بالنظر إلى إمكانات العمل الميداني غير المحدودة في استخدام أساليب الملاحظة والمقابلة ودليل العمل الميداني والتصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي والفيلم الإثنوغرافي.

**2. تقنيات بحثية أضافها أحمد أبو زيد:**

أدرك أحمد أبو زيد ما يحظى به العمل الميداني في البحث الأنثروبولوجي من أهمية، اقترنت لديه بالنزول إلى الحقل الواقعي للمادة، وجمعها عن طريق معايشة الجماعة المدروسة على مدى فترة زمنية كافية، قصد التعرف على أنشطتها ومقاصد أفعالها.

كخلاصة مقطرة لجهده الخلاق، سواء في دراساته التي شملت مناطق مختلفة في مصر

[1] www.aranthropos.com › / محمد حافظ دياب. – أحمد أبوزيد: رائد البحث الميداني. ، 20 جويلية 2014. بتصرف.

والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أو عبر تواصل عمله الميداني مع مراكز بحثية عديدة، أو في إشرافه على فرق بحثية تولى تدريب أعضائها، أو من خلال مجموعة من المبادئ التي وضعها وهي كالأتي:

أ. قبْل أبو زيد، كان مجال البحث الأنثروبولوجي يقتصر، في العادة، على دراسة مجموعات صغيرة وقليلة من الجماعات، لكنه استطاع أن يتحرر من التقيد بحرفية هذا النهج التقليدي، حين أولى اهتمامه بدراسة المجتمعات الأكبر حجمًا والأكثر تعقيدًا.

ب. لجأ أبو زيد إلى تعديل مشروع الباحث الفرد، الذي يقوم وحده بدراسة مجتمع محلي صغير الحجم دراسة مركزة لمدة طويلة من الزمن، وتم ذلك لأول مرة أثناء دراسته الميدانية في الصحراء الغربية بين عامي 1965 و1966، وتطور بعد ذلك في بحث شمال سيناء، حيث بلغ فريق العمل 23 باحثًا، فيما تعلق الأمر لديه بأن تعدد الباحثين الميدانيين لا يؤدي إلى أي خلل في الدراسة الأنثروبولوجية، مادام أنهم يتولون جمع المعلومات من خلال دليل عملي محدد.

ج. فيما يخص عينة البحث الأنثروبولوجي حيث الأسلوب الغالب اعتمد اختيارها بطريقة عشوائية، لكن أبو زيد عدّل هذا الأسلوب إلى الاختيار المتعمد، فيما تطلب الأمر شروطا معينة في المبحوثين الرئيسيين أو الإخباريين، ممن يقيم معهم علاقات وثيقة، دون أن يمنعه ذلك بطبيعة الحال من التواصل مع أكبر عدد ممكن من أعضاء المجتمع المبحوث.

د. ولأن لمشكلة الرئيسية التي تواجه الباحث الميداني، تتمثل في التغلب على الحواجز التي تحول بينه وبين فهم القيم والمعاني المحلية، والتي قد تختلف اختلافا جذريا عما يحمله الباحث من قيم ومعان، دأب أبو زيد على تنبيه الباحثين إلى خطورة فرضهم لقيمهم الخاصة، وضرورة امتلاكهم بصيرة الاحترام العميق لثقافة مبحوثيهم.

هـ. وفي مجال تطوير أدوات الجمع الميداني، أبدع أبو زيد في تقنين أدلة العمل الميداني، كمرشد للباحثين في جمع البيانات، مع إعطائهم الحرية في عدم التقيد الحرفي بما ورد في الدليل أو ترتيبه، أثناء حوارهم الحي مع المبحوث.

**3. أخلاقيات بحثية من منظور أحمد أبو زيد :**

أسهم أبو زيد في إثارة وعي الباحثين بأهمية وخطورة بعض الظواهر والأنماط السلوكية، المرتبطة بأخلاقيات ممارسة البحث الميداني، وفهم الظروف التي صاحبت ظهور وانتشار الأنماط والممارسات السالبة منها، وأوصى في هذا الإطار بصياغة قواعد أخلاقية، تتلاءم مع المجتمع العربي، وتتفق مع مسئوليات باحثيه، وهي كالآتي:

أ. ما يتعلق بحقوق الباحث بالنسبة لاتخاذ القرارات الخاصة بإجراءات البحث الميداني، إضافة إلى توجيه سلوكه بما يتفق مع تقاليد المجتمع وقيمه، والحق في الاحتفاظ بخصوصية الحياة الشخصية.

ب. حدد أبو زيد المسئوليات الملقاة على الباحث، وهي مسئولية تمتد إلى إعداده العلمي منذ البداية، مرورا بتمسكه بالقواعد المنهجية، وإفادته من التدرب على مهارات التحقيق والاستقصاء والحوار مع المبحوث، مؤكدا ضرورة الإنصات له، والتخلي عن التعالي الزائف، والإحجام عن التأويل المتعجل، والحرص على الإحاطة الشاملة بجوانب السياق الاجتماعي العام، وأخذه في الاعتبار طيلة الوقت أثناء جمعه للمعلومات الإثنوغرافية الجزئية والتفصيلية، بالإضافة إلى ضرورة احترامه لثقافة وقيم المجتمع محل الدراسة، وإقامة علاقات طيبة مع أعضاء هذا المجتمع، والالتزام بسرية معلومات خاصة بالمبحوث ليست للنشر.

ج. وبالنسبة لمسئوليات المشرف، فقد أكد على منع المادة الاثنوغرافية التي يتم الحصول عليها ميدانيا عن أي منطقة محلية، من أن تتداولها مؤسسات بحثية أجنبية.

د. وبلغ من حرص أبو زيد على معايشة فريق بحثه، أنه كان يقيم معهم في مجتمعات البحث، ويشاركهم في أوجه نشاطهم اليومي، ويعقد اجتماعات يومية لهم، لمناقشة ما

توصل إليه كل عضو، وقراءة المادة الميدانية التي قاموا بجمعها، ومدارسة العقبات والصعوبات التي اعترضت طريق جمع المادة، وإمكانات التغلب عليها.

هـ. ويتضح ذلك، على سبيل المثال، في مرافقته لأعضاء الفريق فترة ممتدة وسط مدقّات ورمال سيناء، أو في رحلاته وسط الوديان وجوار الجبال التي كان يسبق فيها الفريق إلى مواقع العمل، أو في إقامته معهم بمسكن بدوي تأتي إليه المياه أسبوعيا أثناء بحث المجتمعات الصحراوية، أو حين أقام معهم في حي «ستوتة» بمدينة طنطا، أو في منزل ريفي بقرية نواج القريبة من هذه المدينة أثناء بحث رؤى العالم.

و. ويذكر من شاركوه العمل الميداني، ذلك الجهد الذي كان يبذله لتأمين إقامة فريق البحث، وبخاصة الباحثات، ممن كان عليهن الإقامة في الميدان بعيدًا عن أسرهن لفترات طويلة، فكان يقوم بدور الأب، من حيث إجراء اتصالات تلفونية وطمأنة الأهل، ومراعاة الظروف الصحية الخاصة بهن، وتوزيعهن على تجمعات سكنية تتوافر فيها الإمكانات اللازمة.

**خاتمة:**

أنجزنا سلسلة هذه المحاضرات وفق البرنامج المخصص لطلبة السنة الثانية علم اجتماع، كما حرصنا على تكوين أرضية خصبة للطلبة في هذا المستوى. توسعنا في جل المحاضرات إلا محور الأنثروبولوجيا العامة اختصرناه، وكان بمثابة مراجعة عامة للأنثروبولوجيا لأننا توسعنا فية خلال السنة الأولى جذع مشترك في مقياس مدخل في الأنثروبولوجيا.

حرصنا على استعمال الطريقة الحوارية مع الطلبة خلال مناقشة بعض القضايا المجتمعية لنعرف مدى استيعاب الطلبة لمحاور المقياس، فلمسنا بعض التعطش للطلبة لهذا التخصص وخاصة أنه يربطهم مباشرة بواقعهم المعاش ومحاولة فهمه والتعرف على مختلف العناصر الثقافية الموجودة ولا سيما تلك الثقافات التي يمكن الاستفادة منها في التعرّف إلى ثقافة العصر ودراستها والاقتداء بها بما ينسجم مع جوهر الشخصية العربية المتمايزة، ومع مقومات الثقافة العربية والانتقاء من الثقافات الأخرى ومحاولة فهمها على حقيقتها، فالثقافات كلها تنمو وتزدهر وتتقدّم بالاتصال والاحتكاك والاستعارة والاستيعاب والتأثير المتبادل.

يمكننا القول في نهاية المطاف أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية لهما آليات وقوانين وهياكل تنظم ذاتها قصد دراسة الإنسان، كما يجوز الاعتراف بوجود طبيعة بشرية ،فلن تكون أبدا خاضعة خضوعا مطلقا لقوانين الطبيعة وحدها، بل هي منظمة داخل علاقات ومؤسسات اجتماعية وانساق معرفية، أخلاقية، دينية وقانونية.

وستكون الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بمثابة عودة إلى هده الطبيعة البشرية المنظمة اجتماعيا وثقافيا، فالنظم الاجتماعية في بنائها والعلاقات السائدة خلالها وعمليات تفاعل عناصرها ووظائفها لا يمكن تحليلها إلا إذا فهمنا اتجاهاتها النظرية في جانبه الاجتماعي (التطوري والبنيوي الوظيفي) والثقافي (الانتشاري). وهذا الفهم يجبرنا على اتباع منهجية علمية ذات خصوصية أنثروبولوجية، لأننا نتعامل مع مجتمع لا يمكن التحكم في متغيراته بل حسن التعامل معها منهجياً.

**قائمة المراجع:**

**أولا: المراجع العربية:**

**ا. الكتب:**


1. أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي- مدخل لدراسة المجتمع - المفهومات، ج 1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2015 .
2. أحمد أبو هلال، مقدّمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمّان ، 1974.
3. ابراهيم زرقانة ، الأنثروبولوجيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1958.
4. ابراهيم ناصر ، الأنثروبولوجيا الثقافية – علم الإنسان الثقافي، عمّان، 1985.
5. ايفانز بريتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تر: أحمد أبو زيد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1960.
6. اسماعيل محمد قباري ، الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف بالاسكندرية، 1973.
7. بدر الدين السباعي، مشكلة المرأة، دار الجماهير، دمشق، 1985.
8. زكريا ابراهيم، مشكلة البنية – أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، القاهرة، 1976.
9. حمدان محمد زياد، الثقافات الاجتماعية المعاصرة، دار التربية الحديثة، عمّان، 1989.
10. حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
11. حسين فهيم ، قصّة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة (198)، الكويت، 1986.
12. حسن شحاتة سعفان ، دراسات في علم الإنسان،دار النهضة العربية، القاهرة، 1973.
13. يحيى مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان – الأنثروبولوجيا، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007.
14. كلايد كلوكهون ، الإنسان في المرآة، ترجمة : شاكر سليم، بغداد 1964.
15. كلود ليفي ستروس ، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق، 1977.
16. مجد الدين خمش، علم الاجتماع الموضوع والمنهج، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن،1999
17. محمد صفوت الأخرس، الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001.
18. محمد صفوح الأخرس، علم الاجتماع العام أسسه، ميادينه، وموضوعاته، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، سوريا1981 .
19. محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2007.

20. محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، ط1، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، 1980.
21. محمد رياض: الإنسان دراسة في النوع والحضارة، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974.
22. محمود فؤاد حجازي، البناء الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1979.
23. محمد بن ابراهيم السيف ، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، العربية السعودية، 1997.
24. مصطفى السخاوي، النظم القرابية في المجتمع القبلي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، مصر، 1996.
25. محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
26. محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1967.
27. محمد سعيد فرح، البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1998 .
28. محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999.
29. محمد علي قطان، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر، المديرية العامة للصحافة، جدة العربية السعودية،1979 .
30. محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار علاء الدين للنشر، سورية، 2008.
31. محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
32. ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1999.
33. ميلفيل. ج هرسكوفيتز ، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، تر: رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، 1974.
34. السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، ط2 ، القاهرة، مصر 1981.
35. عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر ، 1975.
36. عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، مصر، 1987.
37. عاطف وصفي ، الثقافة والشخصيّة، دار المعارف بمصر، 1977.

38. عبد الله عبد الغني غانم وآخرون، المدخل إلى علم الإنسان ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ، 1989.
39. علي عبد الرزاق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.
40. علي الجباوي، الأنثروبولوجيا – علم الإناسة، جامعة دمشق ، 1997.
41. علي فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1981 .
42. علي محمد مكاوي، الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر– مدخل اجتماعي ثقافي، الدار الدولية للاستشارات، القاهرة، مصر، 2007.
43. فاروق اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
44. فاروق اسماعيل– التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي –دار المعرفة الجامعية،ط2 ، الإسكندرية، مصر1984 .
45. فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2009.
46. فاروق العادلي، سعد جمعة ، الانثروبولوجيا, مدخل إجتماعي وثقافي– بل برينت للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، 2000 .
47. فرانز فانون، سوسيولوجية ثورة ، تر: ذوقان قرقوط، ,دار الطباعة ، ,بيروت ، لبنان، 1970 .
48. فؤاد زكريا ، الحذور الفلسفية البنائية، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة الكويت،1980.
49. رالف لينتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1967.
50. رالف لينتون، دراسة الإنسان، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1964.
51. رالف بيلز و هاري هويجرا ، مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1977.
52. رشوان حسين عبد الحميد، الأنثروبولوجيا في المجال النظري، الاسكندرية، 1988.
53. شاكر سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت ، 1981.
54. شاكر الخشالي، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، الموقع الإلكتروني للأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، 2010.

**II. المعاجم:**

55. معجم العلوم الاجتماعية، اعداد لجنة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

**III. المجلات:**

56. أحمد أبو زيد ، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي 46، مجلّة العربي، الكويت، 2001.
57. محمود فهمي حجازي، أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثروبولوجية، مجلة عالم الفكر، عدد حزيران، الكويت، 1972.
58. العقبي الأزهر، المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام الأسري العربي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، جوان 2012.

**IV. المواقع الالكترونية:**

59. www.aranthropos.com

## ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

60. BARNOUW. V; Cultural Anthropology , Home wood Illinois, Irwen Inc ,1972.
61. GENET .L, REMOND, R- Le monde contemporain-librairie Hatier, Paris-France,1962.
62. KOTTAK Conrad phillip; Anthropology; The exploration of human diversity; Mc Graw Hill N.Y. 2002.
63. MARGARET Mead, , Changing Styles of Anthropological Work , Annual Review of Anthropology , Palo Alto. 1973.
64. NICHOLSON, C .Anthropology and Education , London, 1968.
65. PELTO Pretti , Anthropology Research , London, 1970.
66. RADCLIFFE Brown, Structure and function in primitive, London, 1956.
67. THOMPSON. M & Ellis. R & Wildavsty: A; Culture theory; Westview press; Boulder; San Francisco.